الرسوم الصخرية في مدينة أبها وضواحيها(١)

دراسة توثيقية لنماذج مختارة منها

د. مسفر بن سعد الخثعمي
كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية - جامعة الملك خالد - أبها

تعد منطقة عسير إحدى أهم مناطق المملكة العربية السعودية من حيث كثافة الرسوم والنقوش الصخرية، وتختلف منطقة عسير نفسها من محافظة لأخرى من حيث غناها وفقرها في مجال الرسوم والنقوش الصخرية، ففي الوقت الذي تتميز فيه محافظات بيشة والنماص وتثليث بثرائها في مجال هذا النوع من الفن، نجد أن النسبة تقل تدريجياً في بقية محافظات المنطقة(٢)، كما أن رسوم المنطقة تنفرد ببعض الخصائص الفنية ذات الأسلوب المتميز والتي لم أجد لبعضها مثيلاً في الرسومات التي سبق أن درست في مناطق أخرى(٣).

---

(١) تمثل مدينة أبها حاضرة منطقة عسير بصفتها قاعدتها الرئيسة ومقر إمارتها وعاصمتها الإدارية والسياسية، وتقع على سلسلة جبال السراة عند خط العرض ١٨,١٢ شمالاً وخط الطول ٤٢,٣٠° شرقاً، وترتفع عن سطح البحر الأحمر بحوالي (٢٢٠٠) متر تقريباً.

(٢) تم التعرف على ذلك من خلال الدراسة الميدانية التي قام بها الباحث في جميع المحافظات، واستمرت لأكثر من ثمانية أشهر من أجل إعداد هذا البحث، وأبحاث أخرى يسعى الباحث لإنجازها قريباً.

(٣) سوف نتعرف في ثنايا البحث على بعض من رسوم المنطقة المميزة، وخاصة عند حديثنا عن موضوع الوسوم والعلامات والرموز.

ويأتي فن الرسوم الصخرية أحد أهم مصادر دراسة تاريخ وحضارة عصور ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية بشكل عام وفي منطقة عسير بشكل خاص، حيث تقدم لنا هذه العناصر صورة صادقة عن أساليب الحياة المختلفة، فنتعرف من خلالها على الكثير من العادات والتقاليد والأعراف ومختلف أنماط السلوك الاجتماعي للجماعات البشرية التي عاشت على تراب هذه المنطقة، فضلاً عن تصويرها للأحوال السياسية وأساليب الحياة المعيشية والاقتصادية المختلفة، كما تكشف لنا هذه الرسوم والنقوش جانباً مهماً من النواحي العقدية والفكرية والأساليب الفنية والذوقية للأقوام الذين خلدوا لنا هذه الفنون الجميلة. وبصرف النظر عن الدوافع التي أدت إلى إنتاج هذا الفن الصخري الرفيع في المنطقة فإنها تقدم لنا ثروة هائلة من المعلومات التي تنطوي عليها أهمية تاريخية(٤)، ومثل هذه المعلومات الثرة ستساعد بلا شك على رسم التسلسل التاريخي لهذه المنطقة وغيرها من المناطق، بالإضافة إلى أنها ستعمل على توضيح البناء الحضاري الذي شهدته عبر عصورها التاريخية المختلفة(٥).

وبالرغم من هذه الأهمية إلا أن دراسة فن الرسوم والنقوش الصخرية في المملكة العربية السعودية ما تزال في مراحلها الأولية، ولم تستطع الدراسات الأثرية السابقة لهذه الفنون في جنوب المملكة العربية السعودية أن تقدم لنا تواريخ ثابتة يمكن الوثوق بها(٦). إذ ما يزال

---

(٤) محمد عبدالنعيم: آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية، ترجمة: عبدالرحيم محمد خير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان (١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ص ٢٣٠.

(٥) سنحاول من خلال هذا البحث استنطاق هذه الرسوم والتعرف على دلالاتها، وما يمكن أن تقدمه لنا من أنساق الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والثقافية التي يمكن أن تسهم في إثراء معلوماتنا عن حضارة المنطقة عبر عصورها القديمة المختلفة.

(٦) عبدالنعيم، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

هناك الكثير من الرؤى المتباينة والعديد من الانتقادات حول التسلسل الزمني لفن الرسوم الصخرية في وسط الجزيرة العربية والذي تبناه أناتي (Anati) في دراساته(٧)، وقد انتقد بعض الباحثين هذا التصنيف، حيث رأوا أنه لم يقدم أساليب عملية مقنعة لتصنيف الأساليب الفنية وتأريخها، بالإضافة إلى التناقض الواضح الذي أظهره في المعايير الخاصة بالأساليب الفنية(٨). على أن هناك من الباحثين من تبنى التأريخ والتصنيف الذي وضعه "أناتي"(٩).

وقد يكون من المناسب هنا أن أشير إلى التصنيفات التي اعتمدها "أناتي" في دراسته التي أثارت الخلاف بين الدارسين لاحقاً، حيث صنف الرسوم في المناطق التي درسها إلى الفئات الآتية:

---

(٧) المواقع التي درسها "أناتي" في مجلده الأول تشمل كلاً من: المواقع القريبة من آبار"مريغان" شرقي تثليث، وجبل "قارة"، وجبال"العلم"، وآبار"عيدومة"، وتوجد المناطق التي درسها هذا الباحث في الجنوب والجنوب الغربي من المملكة العربية السعودية، وليس في وسط الجزيرة العربية كما زعم، ولعل الذي أوقعه في هذا الخطأ هو اعتماده في دراسته على الصور التي حصل عليها من بعثة فيلبي - ريكمانز - ليبنز عام ١٩٥١-١٩٥٢م، ولم يقم بزيارة المواقع التي تنتمي لها هذه الصور التي درسها، الأمر الذي أوقعه في الخطأ في كثير من تفسيراته، وأول أخطائه في هذا الكتاب تسميته بـ "فن الرسوم الصخرية في أواسط الجزيرة العربية" (Rock Art in Central Arabia).

ولمزيد من التفاصيل عن هذه الدراسة انظر:

Anati, E., Rock Art in Central Arabia (Expedition Philby Rickman's - Lippens en Arabia) 4 vols. (lovain La Neuve: Inst. Orientaliste, 1968-1972).

(٨) من أبرز المنتقدين لأعمال أناتي:

McClure, The Arabian Peninsula and Prehistoric Populations, F. R. P (1971).

ولمزيد من التوضيحات راجع: عبدالنعيم، المرجع السابق، ص ٢٣١، وما بعدها، وكذا:

Khan M., Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia (Riyadh: Department of Antiquities and Museums, 1993), p. 32 ff.

(٩) ومنهم:

Zarins, J., et al., "The Second Preliminary Report on the Southwestern Province", Atlal, vol. 5 (1981), p. 34.

١ - العصر الإسلامي، ويؤرخ له من الهجرة النبوية؛ أي: من بعد عام ٦٢٢م.

٢ - عصر الكتابة (Literate)، ويؤرخ له من ٦٥٠م إلى١٠٠٠م (٢٩-٣٩٠هـ).

٣ - عصر الصيادين والرعاة (Herding and Hunting)، وقد قام بتصنيف فرعي لهذه الفئة إلى الأدوار الآتية:

- عصر الصيد والرعي الحديث
(Late Hunting and Pastoral) ويؤرخ له من عام ٥٠٠ -١٢٠٠ ق.م.

- عصر الصيد والرعي الوسيط الأول
(Middle Hunting and Pastoral 1) من عام ١٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م.

- عصر الصيد والرعي الوسيط الثاني
(Middle Hunting and Pastoral 11) من عام ٢٠٠٠-٣٠٠٠ ق.م.

- عصر الصيد والرعي الوسيط الثالث
(Middle Hunting and Pastoral 111) من عام ٣٠٠٠-٤٠٠٠ ق.م.

- عصر الصيد والرعي القديم
(Early Hunting and Pastoral) من عام ٤٠٠٠-٦٠٠٠ ق.م.

٤ - عصور الصيادين الباكرة
(Early Hunting Group)، ويؤرخ له قبل عام٦٠٠٠ ق.م(١٠).

وقد ارتكزت دراسة "أناتي" لفن الرسوم الصخرية على التقسيم الزمني الذي يقوم على التسلسل الزمني، وهذا اجتهاد منه، غير أنه لم يعتمد في تصنيفه هذا على أدلة علمية مقنعة، علاوة على أنه لا يستند في تقسيماته هذه على أي معثورات أثرية بالقرب من المواقع

---

(١٠) عن هذه التقسيمات راجع:
Anati, E., Rock Art in Central Arabia, vol.1(1968), pp. 12-160.

التي درسها، علماً بأن المنطقة تحوي الكثير من الآثار المادية الباقية والتي قد تكون لها علاقة بأصحاب هذا الفن الصخري(١١). وبالرغم من التقسيمات التي اقترحها "أناتي" إلا إننا نجد أنه يناقض نفسه عند تصنيفه لفن الرسوم الصخرية في جبل"قارة"، إذ صنف رسوم المنطقة إلى اثني عشر قسماً.

ولم يكن التناقض في التسلسل الزمني الذي تبناه "أناتي" فحسب، بل إن التناقض والخلط طال الأساليب الفنية المتشابهة، فنراه على سبيل المثال يصنف الأشكال المتشابهة إلى المجموعات الآتية:

- مجموعة أساليب محاش (Mahash style).
- مجموعة داثامي (Dathami style).
- مجموعة كوكب (Kaukab style).

ومع ذلك نجده يصنف الأشكال ذات الأسلوب المتشابه في مجموعة داثامي، وتارة أخرى في أسلوب كوكب، وحيناً آخر في أسلوب محاش وهكذا(١٢).

ومن الدراسات الحديثة التي انتقدت تصنيف"أناتي" دراسة "مجيد خان" (Prehistoric Rock Art of Northern Saudi Arabia) التي صنف هو الآخر من خلالها الرسومات الصخرية لشمال المملكة العربية

---

(١١) فرغ الباحث من إعداد بحث بعنوان"الآثار في محافظة تثليث دراسة وصفية تحليلية"، وهي في طريقها للنشر، وتشمل الدراسة العديد من المعثورات الأثرية بالقرب من المناطق التي درسها "أناتي" من الممكن أنها تساعد في المستقبل على التأريخ لهذه الرسوم.

(١٢) وبغض النظر عن الخلط والتناقضات التي ذكرناها عن دراسة "أناتي" إلا أن عمله يظل عملاً مميزاً فيما يتعلق بفن الرسوم الصخرية في جنوب المملكة العربية السعودية؛ نظراً لما يقدمه لنا من معلومات مختلفة عن هذا الفن الصخري، وفي نظري أن هذا العمل سيظل القاعدة الرئيسة التي سينطلق منها أي باحث في المستقبل.

السعودية حسب التسلسل الزمني النسبي معتمداً في ذلك على بعض القرائن من المعثورات الأثرية، إضافة إلى اعتماده على الدراسات المقارنة لمادة الرسوم الصخرية المشابهة التي وجدت في مناطق الأردن وسيناء، كما أنه اعتمد على افتراضات أخرى غير مقنعة(١٣)، وبالتالي صنف من خلالها الرسوم الصخرية لشمال المملكة العربية السعودية إلى ست مجموعات هي:

١ - العصر الحجري القديم (Epi Paleolithic)، ويؤرخ له من عام ٩٠٠٠ - ٧٠٠٠ ق.م.

٢ - العصر الحجري الحديث (Neolithic) من عام ٧٠٠٠ - ٥٠٠٠ ق.م.

٣ - العصر الحجري الحديث المتأخر (Late Neolithic) من عام ٥٠٠٠ - ٣٠٠٠ ق.م.

٤ - العصر الحجري النحاسي (Heliolithic) من عام ٣٥٠٠ -٢٠٠٠ ق.م.

٥ - العصر البرونزي (Bronze Age) حوالي ٢٠٠٠ - ١٥٠٠ ق.م.

٦ - العصر الحديدي (Iron Age) حوالي ١٥٠٠ ق.م(١٤).

وبالنظر إلى هذا التصنيف نرى "خان" يصنف رسومات شمال المملكة العربية السعودية إلى فترة ما قبل التاريخ دون تقديم مبررات مقنعة، وفي اعتقادي أن كثيراً من الرسوم الصخرية تعود إلى الفترات التاريخية المختلفة. كما صنفها من حيث الأساليب الفنية إلى أربعة وعشرين أسلوبًا(١٥).

أما الباحث "عبدالنعيم" فقد صنف الرسوم الصخرية لعصور ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية تصنيفاً جغرافياً(١٦)؛

---

(13) Khan, Prehistoric Rock Art, p.102.

(14) Khan, Prehistoric Rock Art, pp . 104-125.

(15) Khan, Prehistoric Rock Art, pp. 87-100.

(١٦) عبدالنعيم، المرجع السابق، ص ٣٠٧.

أي: بحسب المناطق الجغرافية لهذه الرسوم، وإن كان قد تبنى التواريخ التي قد وضعت من قبل بعض الدراسات السابقة التي تمت في هذا الميدان، كما اعتمد كثيراً في تفسيراته وتحليلاته على هذه الدراسات(١٧).

ونظراً إلى عدم وجود تصنيف مقبول من قبل الباحثين، إضافة إلى عدم وجود تواريخ قطعية موثوق بها فيما يتعلق بفن الرسوم الصخرية في المملكة العربية السعودية فإنني سوف أتجنب في هذه الدراسة الخوض في التصنيفات السابقة التي تعتمد على التسلسل الزمني، وسأكتفي بالتركيز في دراستي هذه على ذكر أنواع الرسوم الصخرية مع وصف وتحليل هذه الرسوم حسب الأساليب الفنية، على أمل أن تسهم الدراسة في إماطة اللثام عن بعض أساليب الحياة المختلفة كالعادات الاجتماعية والأوضاع الاقتصادية والسياسية، إلى جانب النواحي الفكرية والأساليب الذوقية للشعوب التي نفذتها، خصوصاً إذا ما عرفنا أن الفن الصخري يبدأ مع النشاط الإنساني، ويتناول تفاعله مع البيئة الطبيعية التي يعيشها، ومع الجماعات البشرية التي يختلط بها، ولذلك فإنه يتناول ما خلفه هذا التفاعل من شواهد توضح تطوره عبر العصور، فالتقنيات التي يستخدمها إنسان اليوم في مجال الرسوم الفنية ليست إلا تطوراً لتقنيات الإنسان القديم، وهذا يعني أن دراسة الرسوم الصخرية يمكن أن تؤدي إلى الربط بين سلسلة التتابع التاريخي للحضارات التي قامت على أرض هذا الإقليم بشكل خاص والجزيرة العربية على وجه العموم.

---

(١٧) عن هذه الدراسات انظر كلا من:

Zarins,1981; Horsfield, G., Angnes, H., and Glueck, N., "Prehistoric Rock Drawings in Trans-Jordan", AJA, vol. 37, no. 3 (1983), pp. 381-86; Khan, 1993.

وبالعودة إلى فن الرسوم والنقوش الصخرية في مدينة أبها فإنها تعد من أفقر مناطق عسير في هذا الجانب إذا ما قورنت مع مناطق أخرى من حيث غزارة وكثافة ما يوجد بها من الرسوم والنقوش الصخرية. أمَّا أبرز أنواع هذا الفن الصخري فهي على النحو الآتي:

أولاً: الرسوم الآدمية

وجد عدد من الرسوم الآدمية في مواقع الرسوم الصخرية في مدينة أبها وضواحيها التي يحتمل أن بعضها يعود لحقب ما قبل التاريخ، على أن أغلب تلك الرسوم تعود إلى الحقب التاريخية المختلفة(١٨). وتختلف الرسوم الآدمية من حيث الشكل وأسلوب التنفيذ من حقبة لأخرى، وتتكون الأشكال الآدمية في هذه المنطقة من أربع فئات، وهي:

١ - الأشكال الآدمية العودية:

وتمثل الرسوم التجسيدية العودية الشكل الغالبية العظمى من بين الأشكال الآدمية التي عُثر عليها في مدينة أبها، وهي تمثل حقبًا تاريخية مختلفة، يظهر لنا ذلك من خلال طبقة التقادم، ولا تختص بفترة زمنية كما يدعي البعض(١٩). ويتكون الشكل العودي من أطراف عودية خطية مرسومة بأقل جهد ممكن من الفنان، حيث صور هذا الرسام الشكل شبه الآدمي بأدنى حد من التفاصيل التي يمكن تمييزها. ونجد في العادة أن الأشكال العودية تمثل أدنى مرحلة من التخطيط إلى درجة أن يصبح أي تبسيط أو اختزال للأشكال المنفذة أمراً غير ممكناً.

---

(١٨) يظهر لنا ذلك من خلال طبقة التقادم (غشاء العتق).

(١٩) هناك من يعتقد أن الأشكال الآدمية ذات الأسلوب العودي في المملكة العربية السعودية تعود إلى العصر الحجري النحاسي/ الحديدي دون أن يقدموا لنا أدلة مقنعة، لمزيد من الإيضاحات والتفاصيل عن هذه الآراء انظر تحديداً:

Khan, Prehistoric Rock Art, p. 155.

وتوجد معظم الأشكال العودية في المرتفعات وسفوح الجبال المطلة من جهة الشرق على قرية "الفية" الأثرية (بلاد بني رزام)(٢٠)، كما توجد كذلك في المرتفعات الغربية لقرية "الفية" على يسار الطريق العام أبها - الطائف بحوالي ٧٠٠ متر تقريباً، في المنطقة المعروفة بشعب "بن كلثوم"، كما أنها توجد في الهضبة التي تقع فيها قرية "حيدان" الأثرية إحدى قرى "بني رزام"، وتقع شمال أبها على الطريق العام أبها - الطائف، عند نهاية الكيلو ٢٠ تقريباً(٢١). وتوجد أيضاً في الجهة الشمالية من جبل "الصيباء" بوادي "البيح" (بلاد علكم)، إلى الشرق من الطريق العام أبها - الطائف بمئات الأمتار.

ومن أبرز السمات في الأشكال الآدمية العودية التي وجدت في المناطق المشار لها أعلاه ما يأتي:

أ - الأشكال ذات الجذع الطويل والرأس البيضاوي والسيقان الممدودة والأذرع المثنية أو المرفوعة إلى أعلى، انظر: اللوحة رقم (١)، وتوجد هذه اللوحة بقرية "حيدان" ببلاد "بني رزام".

ب - وهناك أشكال آدمية عودية بجذع طويل وأذرع نصف ممدودة إلى أسفل، والأرجل غير بارزة، وأحياناً يكون الرأس والأرجل غير واضحة، راجع اللوحة رقم (٢)، وفي بعض الأشكال تكون الأرجل واضحة، ولكن الرأس غير مميز وبيد واحدة مرفوعة إلى الأعلى. وهذا ما نشاهده في اللوحة رقم (٣).

جـ - حاول الفنان في بعض رسوماته للأشكال العودية أن يظهر عضو الذكورة كما في اللوحة رقم (٤).

---

(٢٠) تعد بلاد "بني رزام" بوابة بلاد قبيلة عسير من الجهة الشمالية، ومدخل مدينة أبها حاضرة منطقة عسير، وثغرًا مهمًا في ربط مناطق السراة بتهامة، انظر: (ابن عفتان، عبدالله بن علي: بنو رزام تاريخ وحضارة، مطابع الجنوب، إصدار النادي الأدبي بأبها (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

(٢١) ابن عفتان: المرجع السابق. انظر على وجه التحديد الفصل الخاص بالمعالم والآثار.

د - وفي بعض الأشكال العودية الأخرى نشاهد الجذع والأذرع المرفوعة إلى الأعلى، وهي تحمل القسي أو ما شابه ذلك ودون أرجل، اللوحة رقم (٥).

٢ - الأشكال الآدمية ذوات الرؤوس المقنعة:

إن الرسوم والأشكال الآدمية ذوات الرؤوس المقنعة غير شائعة في منطقة عسير، وإن كانت وجدت في بعض المحافظات لكنها بصورة قليلة، وهذه الأشكال عودية الأسلوب والرؤوس المقنعة دائرية الشكل، ويخرج من الأقنعة عصا تشبه الرايات، وقد رأى البعض أن هذه الأقنعة هي الأقنعة التي يتنكر فيها الصيادون، أو أن هذه الأشكال قد تكون لراقصين مقنعين، أو أنها آتية من عالم العصر الحجري القديم(٢٢). على أن هناك من يعتقد أن المقنعين الراقصين قد عثر عليهم في مختلف مناطق العالم، وأن هؤلاء المقنعين يمثلون صيادين يقومون بوضع هذه الأقنعة شَرَكًا يخدعون به الحيوانات التي كانوا يقومون باصطيادها. ويرى هؤلاء أن هذه الأقنعة أو أن التنكر بحد ذاته يمثل قوة سحرية روحية، ولهذا نجد أن الإنسان استخدم القناع أو التنكر ليس في مجال الصيد فحسب، بل حتى في الطقوس الدينية اعتقاداً منه أن التنكر يزيدهم قوة(٢٣). وإن كان هناك من يعارض هذه الفرضيات التي تقول: إن الأشكال الآدمية المقنعة تمثل صيادين أو سحرة مقنعين(٢٤).

وعلى كل فإن الأشكال الآدمية المقنعة قد وجدت في قرية "الفية" من بلاد "بني رزام"، اللوحتان (٦،٧).

---

(22) Layton, R., "Naturalism and Cultural Relativity in Art", Form in Indigenous Art, ed. by Ucko, P. J. (London, 1977), p. 31f.

(23) Breuil, A. H.," The Tsisab Ravine and Other Brandberg Sites", The Rock Paintings of Southern Africa, vol. 3 (France, 1959), p. 21.

(24) Ucko, P. J., and Rosenfeld, A., "The Interpretation of Paleolithic Anthropomorphic figurines", J. R. A. I., vol. 92, Part 7 (1962), pp. 38.

٣ - الأشكال الآدمية الواقعية:

تكثر الرسوم البشرية في منطقة عسير وخاصة في محافظات "تثليث" و"بيشة"، "خميس مشيط"، بل إن بعض هذه الرسوم تزيد عن حجم الإنسان الطبيعي(٢٥). ويوجد في مدينة أبها وضواحيها عدد من الأشكال الآدمية الواقعية، ومن أبرز السمات في الأشكال الواقعية في هذه المناطق ما يأتي:

أ - منظر لرجل بالحجم الطبيعي من إحدى الهضاب الصخرية بمنتزه "دلغان"، حيث يظهر بتفاصيل جسمه الدقيقة، وقد بدا واقفاً في وضع أمامي، ويرفع يده اليمنى حاملاً فيها شيئاً ما ربما يكون سلاحاً (الصورة مرئية بشكل غير واضح)، ونشاهد يده اليسرى مثنية إلى الأسفل، ويرتدي فوق رأسه ما يشبه القلنسوة أو الخوذة، ويخرج منها ثلاثة أعمدة إلى الأعلى، ويظهر الرجل وهو يتمنطق بخنجر في وسطه، اللوحة رقم (٨).

ب - وعُثر في جبل "أم الثفاء"(٢٦) بالقرب من قرية "العقائق" بآل سرحان التابعة لمركز الشعف (انظر الخريطة رقم ٤) على لوحة أخرى لرجل بالحجم الطبيعي، وتبعد هذه اللوحة عن طريق الأمير عبدالله بن عبدالعزيز الفرعاء - المطار حوالي ٣ كم عن طريق أحد الطرق الترابية، ويبعد موقع اللوحة عن المطار بحوالي ٧ كم، وعن أبها

---

(٢٥) وهذا ما نشاهده في إحدى اللوحات في منطقة بيشة، التي عُثر فيها على رسوم لعشرة أشخاص، منهم خمسة ذكور بحجم كبير حيث يصل طول الواحد منهم حوالي (٣) أمتار، أما الخمسة الأخرى فيبدو أنها صور إناث يصل طول الواحدة منهن حوالي مترين تقريباً. عن هذه اللوحات انظر:

Walford, G. F., "Notes and Communications: A Note on Rock Drawings from Wadi Hirjab", BSOAS, vol. 25 (1962).

(٢٦) ورد الجبل في بحث مجموعة من الطلاب باسم "جبل أم الشفاء"، والصحيح أنه جبل "أم الثفاء". انظر: الغامدي، غرامة سعدي وآخرون: الآثار والنقوش في سراة عسير، بحث مقدم لنيل درجة البكالوريوس في التاريخ، كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية والإدارية، قسم التاريخ، جامعة الملك خالد، أبها (١٤٢٢هـ/٢٠٠١-٢٠٠٢م)، ص ٣٨.

بحوالي ٣٠ كم تقريباً(٢٧). واللوحة عبارة عن منظر لرجل في وضع جانبي، ويحمل في يسراه ترساً، ويرفع يده اليمنى، ويحمل فيها رمحًا، والرسمة لا توحي بأن الرجل في حالة قتال. راجع: اللوحة رقم (٩). كما عُثر على لوحة أخرى تحمل صورتين لرجلين مماثلين تماماً لصورة الرجل في اللوحة السابقة مما يوحي لنا بأنهما لفنان واحد(٢٨).

جـ - وفي ضواحي أبها عُثر على رسمة أخرى بالحجم الطبيعي لرجل وهو في منظر أمامي، ويمثل الصدر مثلثٌ يضيق عند الخاصرة، ويمثل الرقبةَ خط رفيع، ويتدلى شعر رأسه إلى الأسفل حتى يقترب من ملامسة الكتفين، ويحتمل أن هذا الشكل لأحد الصيادين الفوارس حيث يلحظ أن الرجل يرفع يده اليمنى إلى الأعلى وهو يمسك بها ما يشبه العصا، بينما يحمل في يده اليسرى شيئاً غير واضح، كما يتمنطق بخنجر في خاصرته من النمط الذي يعود إلى العصر البرونزي. ويبدو الشكل في حالة حركة، ويلحظ أيضًا حز زقزاقي (متعرج) يصل إصبع قدم الصياد اليسرى بسطح الأرض. وربما يكون ذلك ثعباناً أمسك بإصبع رجل الرجل اليسرى، أما الحركة التي يظهر عليها هذا الفارس فقد تكون للخلاص من هذا الثعبان(٢٩).

---

(٢٧) أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ محمد بن عبدالله بن جدعه، من أهالي قرية "العقائق" بآل سرحان على تفضله بإرشادي ومرافقتي إلى موقع هذه اللوحة.

(٢٨) عُثر على هذه اللوحة في هضبة العبايا بموقع الزبران إلى الجنوب من خيبر الجنوب حوالي ٣٠ كم، وكان النعمي قد أشار إلى وجودها في ضواحي أبها، والحقيقة أنها تبعد عن أبها حوالي ٧٠ كم تقريباً. انظر: النعمي، هذه بلادنا - أبها، الرئاسة العامة لرعاية الشباب، الرياض، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ص ٦٤.

(٢٩) كانت هذه اللوحة قد نشرت في كتاب "آثار ما قبل التاريخ وفجره في المملكة العربية السعودية"، وأشار الباحث إلى أنها توجد في ضواحي مدينة أبها دون أن يحدد موقعها، وقد بذلت جهداً كبيراً لمعرفة مكانها، ولم أنجح في ذلك، ونظراً إلى تميز اللوحة ودقة تنفيذها علاوة على وقوعها في المنطقة مدار البحث؛ فقد آثرت الإشارة إليها. عن هذه اللوحة راجع: عبدالنعيم، المرجع السابق، ص ٢٩٥؛ انظر كذلك: الشكل ٤ : ٤٩، ص ٢٩٦.

د - وفي هضبة العروس الواقعة إلى الشرق من أبها على بعد حوالي ٦ كم تقريباً(٣٠)، وتقع بالقرب من قرية "الدارة" على يسار الطريق العام أبها - خميس مشيط بحوالي٨٠٠ متر تقريبا. عثرنا أيضاً على شكل بشري بالحجم الطبيعي لامرأة وهي تقف رافعة ذراعيها المفتوحتين إلى الأعلى وأصابعها ممدودة وكأنها في حالة ممارسة طقوسية، وكما هي الحال في الأشكال الأنثوية فإن الرأس على شكل بيضاوي، وتُمثل الرقبة بخط رفيع طويل، وتظهر بشعر قصير، أما الصدر فهو عبارة عن مثلث يضيق باتجاه الخصر. ورسم الخصر بهذا الشكل الأنثوي بحيث يظهر بصورة نحيلة مقارنة مع بقية الجسم، ولا تظهر الأرجل كاملة في الشكل(٣١). انظر: اللوحة رقم (١٠).

٤ - الأشكال الآدمية التخطيطية التجريدية:

إن تمييز هذه الأشكال الآدمية التجريدية أو الشديدة التخطيط غالباً ما تكون عملية معقدة، ويمكن تمييزها عن طريق مقارنتها بالرسومات التي تكون مقترنة بها. ولهذا نجد أن الشكل الإطاري وقسمات الوجه والسمات الجنسية لهذه الأشكال مرسومة بأسلوب تجريدي أو مختزلة أو مكبرة أو ناقصة أو معدلة إلى أبعد حد. مع محافظتها على أوجه الشبه، إما في شكل الجسم أو الجذع والرأس مع الأشكال الآدمية، الأمر الذي يجعلنا نميزها رسومًا آدمية. وقد عُثر على بعض الرسوم لأشكال شبه آدمية أو بالغة التخطيط في

---

(٣٠) خليل، أنور بن محمد: "لمحة عن بعض الآثار"، المذكرة المعدة لدورة الإرشاد السياحي بكلية الأمير سلطان لعلوم السياحة والفندقة، ص ٨.

(٣١) من الواضح أن الشكل لهذه المرأة كان مكتملاً، غير أن الصخرة التي نفذت عليها هذه الرسمة انكسرت، ويبدو أيضاً أنها تعرضت لإحدى الظواهر الطبيعية كالصواعق مثلاً، ويلحظ أن تكملة الجمل التي نقشت فوق رأس المرأة توجد في الصخرة الصغيرة التي تحمل صورة المرأة، والتي انشطرت من الصخرة الكبيرة، كما هو واضح من اللوحة رقم (١٠).

قرية "الفية"، وفي منطقة جبل "الصيباء"، واستخدم في تنفيذ بعضها الطريقة الكفافية القديمة.

وفي قمة جبل "السودة" تكثر الرسوم الآدمية التي نشاهدها وهي في حالات راقصة، وقد استخدم في تنفيذها أسلوب النحت الكلي (engraving)، ويُعد من أصعب طرائق الرسم الصخري، ولم تكن الأدوات التي استخدمها الفنان في تنفيذ رسوماته ومصوراته سوى أزميل بسيط من الحجر، ثم استخدم الحديد بعد ذلك بفترات طويلة، وكانت ترافق الأزميل مكشطة لحذف الأجزاء غير المرغوب فيها، ثم يعمد بعد ذلك إلى تنعيم الصورة بحكها بأداة من الحجارة، ولنا أن نتخيل كم من الجهد والوقت كان الفنان يبذله لإنجاز رسوماته.

ثانياً: الرسوم الحيوانية

تمثل أشكال الحيوانات الغالبية العظمى من الرسوم الصخرية الرمزية التي عثرنا عليها في مدينة أبها والمراكز التابعة لها، حيث نجد في كثير من مواقع النقوش والرسوم الصخرية أن رسوم الحيوانات تفوق ما عداها من الرسومات وخاصة الرسومات البشرية، ويتضح من هذا أن الحيوان كان يشكل اهتماماً خاصاً لدى فناني عصور ما قبل التاريخ(٣٢). ولم تكن الرسوم الحيوانية في كثير من الحالات مقرونة بالأشكال الآدمية. ومن أبرز الحيوانات التي وجدت في المنطقة ما يأتي:

١ - الجمال:

وتمثل رسوم الجمال نسبة كبيرة من الرسومات الصخرية وخاصة في موقع هضبة العروس وفي المرتفعات المحيطة بقرية "الفية"، وفي موقع "الثعالب"، ومن المعروف أن الإبل ظهرت متأخرة عن الماشية في

---

(32) Khan, Prehistoric Rock Art, p. 127.

الجزيرة العربية، وإن كان هناك خلاف بين الباحثين حول تحديد الفترة التي ظهرت فيها قوافل الإبل في الجزيرة العربية(٣٣)، وعلى كل فإننا نجد من خلال الرسوم التي عثرنا عليها في هذه المنطقة أن رسوم الإبل لم يتم تنفيذها في وقت واحد، بل كانت في أوقات متفاوتة ومتباعدة في الوقت نفسه، ويمكن رؤية ذلك من خلال طبقة العتق والتقادم (Patina) كما يظهر لنا في اللوحة رقم (١١) بأسلوب النحت الكلي من هضبة العروس، وهذا يدل على أن الإبل قد ظهرت في الجزيرة العربية قبل الفترة التي حددتها الدراسات السابقة(٣٤). وفي لوحة أخرى من هضبة العروس اللوحة رقم (١٢) نشاهد رسومًا لبعض الجمال بأسلوب النحت الكلي أيضاً، ولكنها تبدو أحدث من سابقتها. وفي اللوحة رقم (١٣) نجد رسومًا للجمال بأسلوب مختلف

هذا يدل على أن الإبل قد ظهرت في الجزيرة العربية قبل الفترة التي حددتها الدراسات السابقة

---

(٣٣) هناك من يعتقد أن استئناس الإبل وظهورها كقوافل تجارية في الجزيرة العربية لم يتم إلا في النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد، عن ذلك انظر:

Albright, W. F., The Archaeology of Palestine, Baltimore (1960), pp. 204-210; Midianite Donkey Caravans, in H. T. Frank and W. L. Reed, Translating Understanding the Old Testament, New York (1970), p. 197 ff; Clutton-Brock, J., A Natural History of Domesticated Mammals, London: British Museum; Cambridge: Cambridge University (1987), pp. 124-129; Dostal, W., "The Development of Bedouin Life in Arabia Seen from the Archaeological Material, SHA, 1 (1979), pp. 125-144 & Plates 60-72.

على أن هناك العديد من الأدلة الأثرية التي تؤكد وجود الإبل في الجزيرة العربية قبل الألف الثاني قبل الميلاد، لمزيد من المعلومات عن الإبل في الجزيرة العربية، انظر: ابن صراي، حمد محمد: الإبل في بلاد الشرق الأدنى وشبه الجزيرة العربية، الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الثالث، الرياض، (مايو ١٩٩٩م) ص ٢١ وما بعدها؛ انظر أيضاً: الخثعمي، مسفر بن سعد بن محمد: "الأثر السياسي والحضاري لدرب البخور في عصور ما قبل الإسلام"، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الإصدار الثالث، الرياض (١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ص ٣١.

(٣٤) عن هذه الدراسات راجع الحاشية السابقة.

من حيث التنفيذ عن الأسلوب السابق، حيث استخدم الفنان أسلوب الحفر على السطح الصخري، إذ يقوم بحفر أو نحت خطوط خفيفة على الصخر بصورة تعمل على إبراز الإطار العام للشكل المراد تنفيذه.

وفي اللوحة رقم (١٤) نجد الفنان قد استخدم في تنفيذ هذه الرسمة أسلوب الكشط الكلي عدا محل الوسم في أسفل البطن من رسمة الجمل، وقد أظهر الفنان في هذه اللوحة مهارة جيدة من حيث إبرازه ملامح الجسم. كما استخدم في بعض مصوراته للإبل أسلوب النقر الخفيف لكامل البدن.

أما رسوم الجمال في المرتفعات المطلة من الشرق على قرية "الفية" فقد جاءت قليلة جداً عكس رسوم الخيول، ومن أبرز رسوم الإبل في هذا الموقع لوحة تمثل قافلة من الإبل في اللوحة رقم (١٥).

وفي موقع "شعب بن كلثوم" الواقع في مرتفعات غرب قرية "الفية" استخدم الفنان في تنفيذه رسوم الإبل أسلوب النحت الكلي، أو أسلوب تحديد الإطار العام للشكل، وقد أظهر الفنان في رسوماته في هذا الموقع مهارة جيدة، من حيث أسلوبه في تنفيذ رسوماته، فنجده قد استخدم النحت البارز أو الغائر، كما استخدم أسلوب تحديد الإطار الخارجي للشكل المرسوم. ونشاهد الفرسان وهم يركبون الإبل ويحملون في أيديهم الرماح والقسي، وتبدو هذه اللوحات قديمة جداً، حيث يلحظ ذلك من خلال طبقة العتق. كما توجد رسوم الإبل في شمال جبل "الصيباء"، وقد نفذ البعض منها بالأسلوب الكفافي، والبعض الآخر بأسلوب النحت للشكل كافة. وهذا يعني أن الرسومات في هذه المواقع قد نفذت بوساطة أكثر من فنان وفي حقب زمنية مختلفة.

ومن موقع "الثعالب"(٣٥) في المنطقة الواقعة بين بللسمر وبللحمر إلى الشرق من الطريق العام أبها - الطائف بحوالي ٣ كم تظهر لنا مجموعة من رسوم الإبل، وقد نفذت بأسلوب النحت الكلي، وإن اختلفت من حيث دقة التنفيذ، فبدا بعضها بصورة متقنة، والبعض الآخر بصورة تخطيطية بدائية، الأمر الذي يوضح أنها قد نفذت بوساطة عدد من الفنانين، وليس فناناً واحداً.

٢ - الخيول:

تندر رسوم الخيول في مدينة أبها، عدا مواقع قرية "الفية" ببلاد "بني رزام"، ووادي"البيح" ببلاد "علكم"، حيث تعد رسوم الخيول أكثر الرسوم الحيوانية في هذه المواقع، وقد استخدم الفنان في تنفيذها أساليب مختلفة، ففي بعض مصوراته استخدم أسلوب النحت الكلي، كما يتضح من اللوحات أرقام (١٦، ١٧، ١٨، ١٩). كما استخدم الفنان في بعض لوحاته أسلوب النحت البارز كما يظهر لنا في اللوحة رقم (٢٠)، حيث يقوم بتفريغ الصخرة مما يلي الشكل المراد رسمه ليظهر الشكل بصورة بارزة، وهي عملية مضنية، ويعد هذا النوع من النحت من أصعب أساليب النحت، ويحتاج إلى دقة ومهارة فائقة. أمَّا الأسلوب الثالث فهو أسلوب النحت الغائر العميق كما هو في اللوحة رقم (٢١). وتظهر الخيول في كل الرسومات السابقة وهي مستخدمة في حالة الحرب أو الصيد، راجع اللوحة رقم (٢٢). هذا وقد وجدت بعض الرسوم لخيول أخرى في موقع "الثعالب"، وبالقرب من قرية "الجعجاع" شمال شرق أبها.

٣ - الأبقار:

وجدت رسوم الأبقار فوق صخور "الريوليت" وعلى امتداد المرتفعات المطلة على الوادي الرئيس لقرية "الفية" من الجهة

---

(٣٥) أشار مرشدنا إلى هذا الموقع الأستاذ فايز بن رقعان الأسمري إلى عدم درايته بالاسم الحقيقي لهذا الموقع، ويذكر أنه منذ طفولته والناس يتعارفون عليه بهذا الاسم، وربما سمي بهذا الاسم نسبة إلى كثرة رسوم الثعالب فيه.

الشرقية، وقد هاجمتها الكلاب ذات الذيول المطوية لأعلى، وهذا النوع من الرسوم وجد في كل من الحناكية والطائف(٣٦). وفي هضبة "العروس" والمنطقة المجاورة لها وجدت بعض رسوم الأبقار الضخمة، وقد نفذت بأسلوب تحديد الإطار الخارجي للجسم بوساطة خطوط رفيعة، اللوحتان (٢٣، ٢٤) كما وجدت رسوم الأبقار في قرية "حيدان"، وقد رسمت بالأسلوب ذاته، اللوحة رقم (٢٥).

٤ - الوعول:

تكثر رسوم الوعول في المنطقة حيث وجدت مجموعة من الوعول ذوات الذقون والقرون المعقوفة إلى الخلف في كل من قرية "الفية"، راجع: اللوحة رقم (٢٦)، وقرية "حيدان" وفي هضبة "العروس"، وجبل "السودة"، وموقع "الثعالب". ويلحظ قدم بعض هذه الرسوم، ويظهر ذلك من خلال طبقة العتق، وقد نفذت رسوم الوعول في المنطقة بأكثر من أسلوب، فاستخدم الفنان أسلوب النقر المتفرق العميق غير المباشر لكامل الشكل كما في اللوحة رقم (٢٧)، كما استخدم أسلوب الحفر عن طريق حفر خطوط عميقة تبرز الإطار العام للشكل، اللوحة رقم (٢٨)، واستخدم أحياناً أسلوب الدلك (الحك) عن طريق رسم خطوط عريضة تبرز إطار الشكل المراد رسمه، أو تحديد الشكل بوساطة خطوط خفيفة نفذت أيضاً بأسلوب الدلك الخفيف، واستخدم الفنان في أحايين أخرى أسلوب الكشط الكلي لجميع الشكل، اللوحة رقم (٢٩) أو الأسلوب الكفافي القديم كما في بعض رسوم قرية "الفية" وقرية "حيدان" (ببني رزام).

٥ - الثعالب:

وجدت بعض الرسوم لحيوانات الثعالب في المنطقة الواقعة ما بين بلاد بللسمر وبللحمر إلى الشرق من الطريق العام أبها - الطائف

---

(36) Zarins, "The Second Preliminary Report", Atlal, vol. 5 (1981), p. 36 f.

بحوالي ٣ كم، اللوحة رقم (٣٠)، وقد سمي الموقع باسم (الثعالب) نسبة إلى كثرة رسوم الثعالب التي توجد فيه.

٦ - النعام:

تقل رسوم النعام في هذه المنطقة عن غيرها من مناطق عسير، وقد وجدت رسمة لأحد طيور النعام في قرية "حيدان"، اللوحة رقم (٣١)، وقد برزت لنا مهارة الفنان من خلال تنفيذه هذه اللوحة، كما وجدت صورة لنعامة أخرى في هضبة "العروس"؛ مما يوحي لنا أن النعام كان موجوداً في هذه المنطقة وإن كان بصورة نادرة، وذلك نظرًا إلى أن الإنسان كان يرسم ما كان يشاهده في بيئته من الحيوانات والطيور التي كانت تسيطر على خياله وتفكيره.

٧ - الأسود:

وفي هضبة العروس عثرنا كذلك على رسمة لأحد الأسود، مما يدل على وجودها في المنطقة؛ لأن الفنان كان يرسم من الحيوانات ما كان يراه في بيئته، اللوحة رقم (٣٢).

٨ - الغزلان:

كما عثر كذلك على رسوم بعض الغزلان، حيث عثر على إحدى هذه الرسوم فوق هضبة "العروس"، كما أشار سليمان شفيق كمالي باشا في مذكراته إلى أنه شاهد على إحدى الأكمات بالقرب من قرية "مشيَّع"(٣٧) رسمة لغزالة وابنها، وقد نفذت على صخرة مربعة الشكل طولها حوالي ثلاثة أمتار، كما أشار إلى وضوح الرسمة ودقة التنفيذ وإتقانه(٣٨). وفي موقع الثعالب عثر على رسمة أخرى لغزالة

---

(٣٧) قرية مشيَّع: تمثل اليوم أحد أحياء مدينة أبها، وقد بحثت عن الرسمة التي أشار إليها سليمان باشا، ولم أنجح في ذلك، ومن المحتمل أنها اختفت من جراء الطفرة العمرانية التي شهدها هذا الحي وغيره من أحياء أبها. وأتمنى ممن يعرف عن هذا الأثر شيئاً أن يبلغ عنه حتى يتم الحفاظ عليه.

(٣٨) العارف، يوسف حسن محمد: أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا، متصرف عسير (١٣٢٦هـ - ١٣٣٠هـ / ١٩٠٨ - ١٩١٢م)، ص ٤٤.

بالحجم الطبيعي، اللوحة رقم (٣٣)، ورسمة أخرى لذكر الماعز وربما الغزال، اللوحة رقم (٣٤).

٩ - حيوانات أخرى:

هناك مجموعة من الحيوانات الأخرى التي عثرنا على مناظر لها في هذه المنطقة، وإن كانت بصورة قليلة جداً، ومن هذه الحيوانات النمور والكلاب ذوات الذيول المطوية لأعلى وغيرها، كما وجدنا في بعض رسوم "الفية" رسوم بعض السحالي، وفي هضبة قرية "حيدان" عثرنا على أشكال من المحتمل أنها تمثل صورًا لبعض آلهة الخصب، انظر: اللوحة رقم (٢٥)، كما عثرنا في هضبة "العروس" على رسوم ربما كانت تمثل صور بعض الآلهة. وهذا يعطي لبحثنا هذا وللأبحاث المماثلة قيمة من حيث الكشف عن مثل هذه الرسوم الصخرية، وتوجيه أنظار أهل الاختصاص لدراستها أملاً في الوصول إلى الكثير من المعلومات عن تاريخنا العربي القديم، ومعرفة المزيد عن بعض الصور الاجتماعية والحضارية للشعوب العربية التي تعاقبت على سكنى هذه المنطقة عبر عصورها المختلفة.

ثالثاً: الأسلحة كما نراها في الرسومات الصخرية

هناك مجموعة من الأسلحة التي استخدمها إنسان هذه المنطقة سواء في عصور ما قبل التاريخ أو في العصور التاريخية من أجل الحصول على غذائه بوساطة صيد الحيوانات التي كانت تتوافر في بيئته، أو للدفاع عن نفسه من خطر الحيوانات المفترسة أو الثعابين السامة، أو لصد عدوان أخيه الإنسان، وقد استخدم في صناعة هذه الأسلحة على مادة الأخشاب، والنحاس، والبرونز، والحديد. وتوجد الأسلحة في جميع المواقع المشار إليها في هذه الدراسة. ومن هذه الأسلحة ما يأتي:

١ - الأقواس والسهام:

وتعد من أقدم الأسلحة استعمالاً في الجزيرة العربية، ومن أكثرها شيوعا⁽٣٩⁾، وقد وجدت أيضاً في العديد من اللوحات التي عُثر عليها في منطقة عسير، أما في مدينة أبها فقد جاءت بصورة نادرة، وقد ظهرت مقرونة بالأشكال الآدمية حيث يشاهد الرجل عادة وهو يمسك القوس والسهم في حالة وقوف بلا حراك، وفي بعض الرسومات نرى الرجل وهو يصوب سهامه باتجاه الهدف المراد والذي غالباً ما يكون حيوان الوعل أو الغزال، راجع: اللوحات أرقام (١٦، ١٧، ١٨، ١٩).

٢ - الرماح:

وتظهر بشكل مكثف في الرسوم الصخرية بمدينة أبها وخاصة في موقع "الفية"، وقد ظهرت الرماح سلاحًا متأخرة في رسوم الجزيرة العربية، ويعتقد البعض أنها ظهرت في العصر الحديث. وقد اقترن هذا النوع من السلاح بشكل كبير براكبي الخيول والذين ظهروا به في حالة الحرب أو الصيد⁽٤٠⁾، انظر: اللوحات أرقام (١٦، ١٧، ١٨، ٢٢).

٣ - الدروع (التروس):

وظهرت أيضاً مقرونة بمناظر الرجال، وتشاهد غالباً والرجال يقبضون عليها في أيديهم اليسرى، ويحملون في أيديهم اليمنى أسلحة أخرى، ولكن هذه المناظر لا توحي بالحركة، وهذا ما نراه في اللوحتين رقم (٨، ٩)، ومن المرجح أن هذا النوع من السلاح كان يصنع من المواد المعدنية.

٤ - الخوذات (أو الأقنعة):

ظهرت في مدينة أبها أشكال آدمية ترتدي على رؤوسها أقنعة، ولا نستطيع أن نحدد نوع المادة التي صنعت منها هذه الأقنعة، وربما أنها

---

(39) Khan, Prehistoric, p. 172.

(40) Khan, Prehistoric, p. 172.

كانت تصنع من الأدم، خصوصاً إذا ما عرفنا أن بلدة "جرش" القريبة من هذه المواقع كانت تشتهر بصناعة الأدم وتصديره في فترة ما قبل الإسلام. وعلى الرغم من أن البعض يرى أن هذه الأقنعة تستخدم شراكا لصيد الحيوانات(٤١)، وهذا تفسير ضعيف من وجهة نظري؛ لأن الحيوان الذي يخاف الإنسان سيهرب منه عند رؤيته سواء أكان الإنسان مقنعاً أم لا. ولذا فمن المحتمل أن يكون هذا القناع نوعاً من أنواع الأسلحة الواقية، وربما كانت عبارة عن خوذات تستخدم من قبل المحارب لوقاية رأسه من ضربات عدوه، وقد يكون لها ارتباط ببعض العقائد الدينية كما أسلفنا. لرؤية نموذج من هذه الأقنعة انظر: اللوحة رقم (٦).

٥ - الخناجر:

وجاءت في رسوم مدينة أبها بشكل نادر، وإن كان عثر على رسمة لرجل يرتدي على خاصرته خنجراً، وقد نفذت هذه اللوحة بأسلوب غاية في الدقة والإتقان، فظهر الخنجر مشابهاً لما يسمى اليوم بالذريع أو الجنبية، كما عثرنا على رجل يتمنطق عند خاصرته ما يشبه السيف، أو الجنبية وله جراب يظهر منه مقبض السيف، ويتدلى من الجراب شيء ما قد يكون للزينة، وهو يشبه ما يزين به أهل هذه المنطقة في العصر الحالي الجراب الذي يغمدون فيه جنابيهم (خناجرهم)، ويمكن رؤية ذلك من خلال اللوحة رقم (٢٢).

٦ - العصي والقطع الخشبية الملوية:

وتعد من أوائل الأسلحة التي استخدمها الإنسان، فقد سبقت بكثير الأسلحة المصنوعة من الحديد أو النحاس(٤٢)، وقد رأينا مثل هذه الأسلحة في بعض الرسومات في قرية "الفية".

---

(41) Breuil, "TheTsisab" (1959), p. 21.

(42) Khan, Prehistoric, p. 193.

رابعاً: الوسوم والعلامات والرموز:

عادة ما تربط الوسوم والعلامات في الفن الصخري بأشكال الإنسان والحيوان، وتتخذ هذه العلامات أشكالاً مختلفة بحسب المنطقة التي توجد فيها، وقد توجد العلامة نفسها في أكثر من موقع، وربما كانت هذه الرموز والعلامات لغرض التعبير عن الروابط القبلية أو الجماعية(٤٣)، وإن كان البعض من العلامات والرموز يستخدم لأغراض أخرى؛ بعضها معلوم، وبعضها الآخر مبهم، ولا يعرف الغرض منه، فمن العلامات الواضحة تلك التي تصور لنا الدلو متصلاً به حبل، ويرمز بها إلى وجود الآبار أو عيون الماء، وخاصة عندما تكون في بطون الأودية، ويخشى عليها من الاختفاء من جراء جريان السيل في الوادي، فيلجؤون إلى استخدام هذه العلامات لمعرفة مكان البئر أو العين بعد ذلك، وتكثر هذه النماذج من هذه العلامات في محافظات منطقة عسير.

أما الوسوم التي تنفذ على أجساد الحيوانات، فيقصد بها التعبير عن ملكية صاحب الماشية سواء أكان فرداً أو جماعة(٤٤). وفي مدينة أبها وجدت الوسوم القبلية على أجساد بعض الحيوانات كما في هضبة "العروس"، اللوحة رقم (٣٥)، أما العلامات والرموز فقد عثر عليها بكثرة في مواقع "الفية"، ولا يعرف الغرض منها، وقد تكون وسومًا قبلية، وقد ترمز لأشياء أخرى لا نعرفها، ومن أبرز العلامات المبهمة في رموز المنطقة - مدار البحث - تلك التي تشبه في شكلها إطار النظارة، كما في اللوحة رقم (٣٦)، وتوجد في أكثر من موقع من المرتفعات الغربية المحيطة بقرية "الفية". ويلحظ أنها من أقدم الرسوم في المنطقة؛ يتضح لنا ذلك من خلال طبقة التقادم (غشاء

---

(43) Khan, Prehistoric, p. 173.

(٤٤) خان، مجيد خان حسن: "وسوم القبائل بين الماضي والحاضر"، جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، الإصدار الثاني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م). ص ١١-٢٣.

العتق). ومن الصعب تحديد الأغراض التي ترمز إليها، وربما يكون لها علاقة ببعض النواحي العقدية.

كما عثرنا في هضبة "العروس" على رسوم وعلامات غير واضح الغرض منها، غير أنها قديمة جداً، وهذه ميزة في معظم الرموز الغامضة في منطقة عسير بشكل عام، حيث تظهر لنا طبقة التقادم أنها من أقدم الرسوم المصاحبة لها.

أبرز الأغراض المستوحاة من الرسوم الصخرية

بعد أن قمنا بتحليل السمات الفنية للرسوم نحاول هنا أن نستنطق هذه الرسوم للتعرف على بعض المحتويات التي اشتملت عليها، أو الأغراض التي من أجلها نفذت على واجهات الصخور على اعتبار أن الفنون تعبر عن طبيعة أصحابها ونفسياتهم وأذواقهم وما كان يشغل تفكيرهم. ويلحظ على رسومنا هذه أنها تختلف من حيث طبقة التقادم (غشاء العتق)، وهذا يعني أنها تعود في تاريخها لعصور مختلفة، كما اختلفت مهارة التنفيذ ودقته من لوحة لأخرى بل ومن موقع لآخر، ومع ذلك لم تتغير الأغراض كثيراً كما سنرى. أما عن أبرز ما تحويه الرسوم فيمكن أن نجملها في النقاط الآتية:

١ - هناك مجموعة من الرسوم الصخرية غير مميزة؛ أي: عديمة الهوية الجنسية، في حين أن بعضها تفرق بين الذكور والإناث من خلال إبرازها لعضو الذكورة بالنسبة للرجال، أو تجسيد المؤخرة البارزة أو الشعر الطويل في رسوم النساء. وتتميز بعض الرسوم الآدمية بالمهارة العالية والإبداع الفني، حيث ظهرت بملامح تجسيدية أكثر واقعية باستثناء ملامح الوجه الطبيعية، وفي هذا دلالة على تعدد المدارس الفنية، بل وعلى تطور جوهر وأسلوب تنفيذ تلك الرسوم من عصر لآخر، بالرغم من عدم وجود دلائل على التطور الفعلي لنماذج الرسوم الحجرية وأشكالها في المنطقة المستهدفة.

٢- يلحظ أن الرسوم الحيوانية في مدينة أبها قد جاءت في معظمها بأشكال غير متحركة، إذ إننا نجد ندرة في الملامح والصفات الحركية في هذه الرسومات، وهذا لا يعني أن الفنان هنا لم يكن قادراً على التعبير عن الحركة في مصوراته، بل من المحتمل أن عنصر الحركة في رسوماته كان شيئاً ثانوياً، ولم يكن الفنان يلقي له بالاً أو يهتم به كثيراً، بدليل أنه عبر في بعض الحالات عن الصفات الحركية والتفاعل الحركي في بعض الرسومات المختارة وخاصة في الرسوم شبه الواقعية. أضف إلى ذلك أن الفنان قد تمرس في تمثيل الحركة في رسوماته في معظم مناطق المملكة العربية السعودية الأخرى، مثل: نجران، الطائف، الحناكية، جبة، كلوة... وغيرها، ورسوم أبها تتعاصر - فيما أعتقد - مع رسوم هذه المناطق.

٣ - لا تقدم لنا رسوم مدينة أبها الكثير من التفاصيل عن الحياة اليومية، ولا عن أنماط السلوك الاجتماعية والعقائد الدينية التي كانت سائدة لدى شعوب المنطقة. ولكن من الممكن أن نستوحي بعضاً من النشاط الإنساني، والعلاقات الاجتماعية، والتقاليد الثقافية المختلفة، حيث تؤكد لنا كثرة المناظر الحربية، ومناظر الفرسان وهم يحملون أسلحتهم وعدة قتالهم، علاوة على أن كثرة الأسلحة وتنوعها تدل على وجود اضطراب في النواحي الأمنية، واختلال في العلاقات الإنسانية، إذ من الواضح أن القوة كانت هي الأساس الذي تحتكم إليه شعوب المنطقة، وتتمحور حوله في علاقاتها. ولا يمنع هذا من وجود لحظات من الفرح والابتهاج عبرت عنها بعض المناظر الراقصة كما في منطقة السودة.

٤ - تساعد المناظر الحربية كذلك على تصور طرائق القتال وأساليبه المتبعة، فضلاً عن أنها تعرفنا أنواع الأسلحة والحيوانات المستخدمة في القتال.

٥ - أظهرت لنا مناظر الصيد أسلوب الإنسان في بحثه عن غذائه، كما بينت أنواع الحيوانات التي كان يطاردها لتوفير طعامه، وقد كانت حيوانات الوعول والغزلان والنعام في مقدمة الحيوانات التي كان يفضلها الصيادون. وفي هذا إشارة إلى أنها كانت تمثل جزءاً مهماً من غذائه الرئيس. وأوضحت الدراسة كذلك بعضاً من الحيوانات التي كانت تشكل خطراً على حياة الإنسان، وتمثل هاجساً له.

٦ - لم توضح لنا الدراسة نوع الملابس التي كانت ترتديها شعوب المنطقة، باستثناء ظهور بعض الأقنعة الواقية للرأس التي رأينا الفرسان ذوي الأحجام الطبيعية يرتدونها، بالإضافة إلى ظهور إشكال بأحزمة ومشدات للصدر، وما يشبه البلوزات والتنورات؛ مما يدل على أن إنسان تلك العصور قد نسج من الملبوسات ما كان يستر به عورته ويقيه من قسوة الظروف المناخية.

٧ - توجد أعداد كبيرة من الرسوم ذات الأذرع المرفوعة لأعلى أو الممتدة مع ثني الجسم كما لو كان الشكل في حالة توسل، وقد توحي لنا مثل هذه المناظر عن ممارسة بعض الشعائر والطقوس الدينية، وقد عرف هذا النوع من الطقوس عند قدماء المصريين والصينيين(٤٥). كما ظهرت لنا أشكال مقنعة قد يكون لها علاقة ببعض العقائد والممارسات الدينية، أو أنها تدل على ممارسة بعض أعمال السحر والشعوذة.

٨ - أثبتت الدراسة كذلك أن هناك العديد من المحتويات الفنية المتماثلة في جميع الأشكال الآدمية والحيوانية، وهذا التشابه يجعلنا نعتقد أن الشعوب التي تعاقبت على سكنى المنطقة كانوا متقاربين في أفكارهم وسلوكهم الاجتماعي، ولم يخرج الفنانون على ما يبدو عن تقاليد من سبقهم بالرغم من البعد الزمني. ولا شك في ذلك فمن الواضح أن الفن الصخري بدأ مع النشاط

---

(45) Khan , Prehistoric, p. 168.

الإنساني وتناول تفاعله مع البيئة الطبيعية التي عاشها، ومع الجماعات البشرية التي اختلط بها، ولهذا فإنه يتناول ما خلفه هذا التفاعل من شواهد توضح تطوره عبر العصور.

٩ - من الواضح أنه كان هناك نوع من الترابط بين المجموعات البشرية التي سكنت المنطقة، وكانت لهذه المجموعات فيما يبدو ملكيات خاصة، وتتضح تلك الملكيات غالباً في رسوماتهم الصخرية حيث توجد وسوم قبلية تدل على ترابط القبائل في هذه المنطقة، وتحدد ملكياتهم من خلال الوسوم التي نقشت على أجساد حيواناتهم.

النتائج والتوصيات:

النتائج:

كشفت الدراسة العديد من الرسوم الصخرية، وأعادت اكتشاف بعضها الآخر، وذلك على النحو الآتي:

١ - كشفت عدداً من مواقع الرسوم الصخرية التي امتدت إليها مشروعات التنمية والتوسع العمراني؛ مما يجعلها عرضة للتدمير والتخريب في أي لحظة.

٢ - كشفت عددًا من الأساليب الفنية في الفن الصخري وعن وجود عدد من المدارس الفنية المختلفة، وهذا يعني أن هذا الفن قد مر بمراحل عدة كان يتطور فيها من مرحلة لأخرى.

٣ - أظهرت براعة الفنان في تصوير الأشكال بأحجام طبيعية، كما وظف مهارته بدرجة كبيرة نحو إظهار التفاصيل الجسدية الدقيقة لرسوماته.

٤ - كشفت الرسوم الصخرية عن الذوق الفني لأصحابها، وعن المواضيع التي كانت تشغلهم.

٥ - أعطت تصوراً عن بعض أنماط الحياة المتنوعة، وبعض الأعراف والتقاليد الاجتماعية، فضلاً عن أنها تساعدنا في استيحاء بعض الأفكار والثقافات التي انتشرت في المنطقة عبر مختلف العصور.

٦ - قدمت تصوراً عن بعض العلاقات الاجتماعية والروابط القبلية، ويمكن من خلالها التعرف على بعض المعبودات الدينية التي ربما سادت عبادتها في المنطقة، كما يمكن أن نستوحي عن طريقها بعض الطقوس الدينية.

التوصيات:

توصي الدراسة الجهات الحكومية المختصة باتخاذ إجراءات احترازية سريعة للمحافظة على المواقع الأثرية التي تهددها بعض مشروعات التنمية، أو تلك التي تقع في دائرة التوسع العمراني وجميع المواقع التي ذكرت في هذه الدراسة أصبحت داخل النطاق العمراني؛ مما يهدد بالقضاء عليها.

كما توصي الدراسة بتنمية المواقع الأثرية التي وردت في هذه الدراسة، وتهيئتها لتكون من وسائل الجذب السياحي في المنطقة، خاصة وأنها قريبة من المواقع الطبيعية ذات المقومات السياحية التي تتمتع بها المنطقة.

تدعو الدراسة الباحثين والدارسين إلى سرعة دراسة الرسوم بشكل خاص، وجميع الآثار بشكل عام في منطقة عسير قبل اختفائها، خصوصاً وأن يد الإنسان هنا توشك أن تدمر كل ما أقام أسلافه من حضارات، وما شيدوه من مدنيات، علاوة على أن آثار المنطقة ما تزال بعيدة عن دائرة اهتمام الآثاريين وأصحاب الاختصاص.

الملاحق

١ - اللوحات:

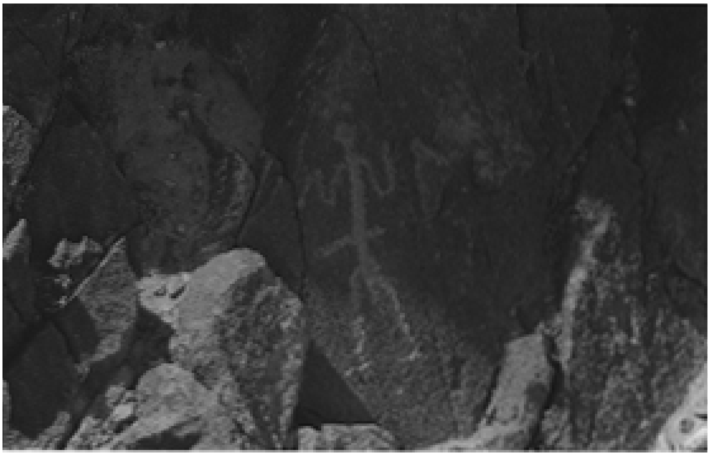

اللوحة رقم (١)
شكل آدمي عودي بجذع طويل
ورأس بيضاوي وسيقان ممدودة وأذرع مثنية من بلاد "بني رزام"

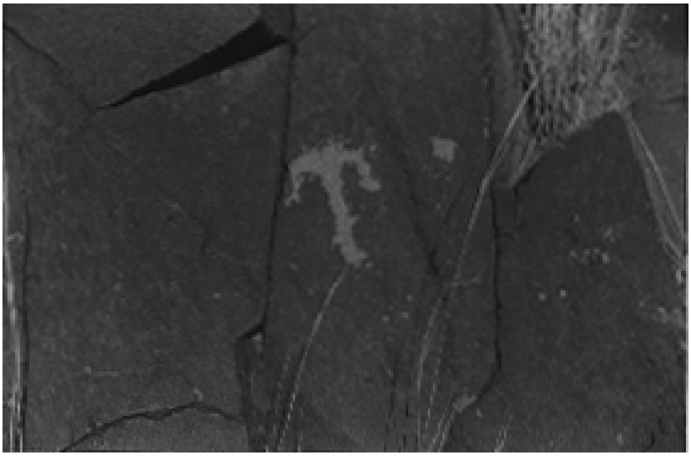

اللوحة رقم (٢)
شكل أدمي آخر بالأسلوب العودي
ويلحظ عدم وضوح الرأس والأرجل "قرية الفية"

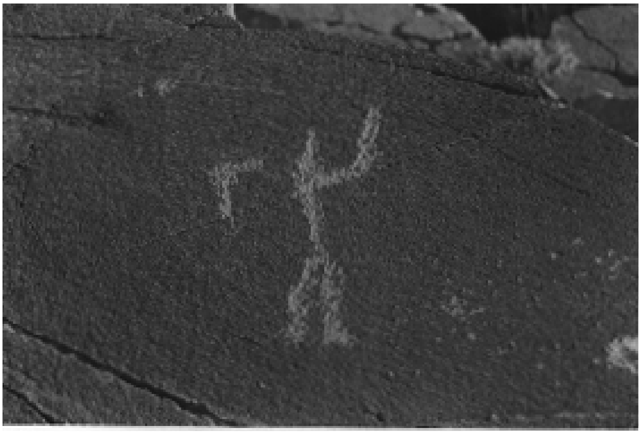

اللوحة رقم (٣)
منظر آخر بأسلوب التجسيد العودي

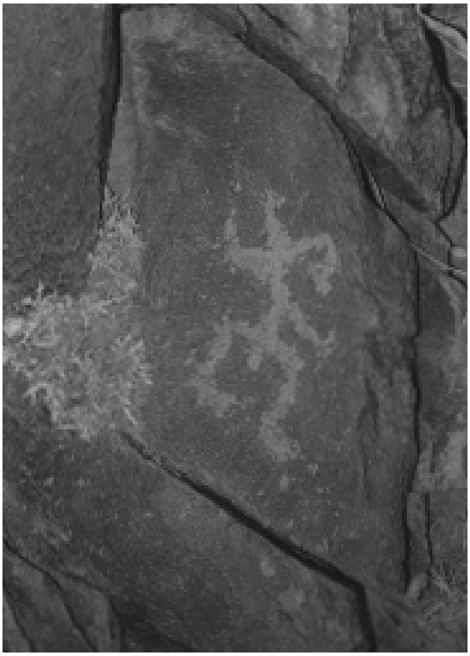

اللوحة رقم (٤)
نمط آخر من الأسلوب العودي،
وهنا حاول الفنان إظهار عضو الذكورة

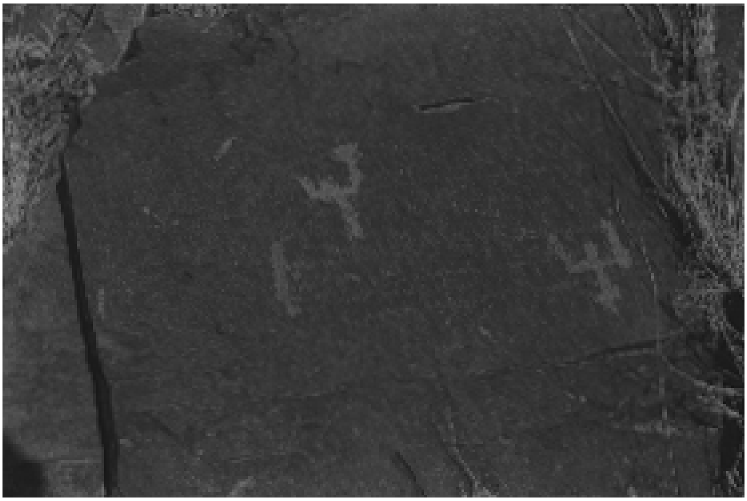

اللوحة رقم (٥)

منظر آدمي

بالأسلوب العودي بجذع وأيدٍ مرفوعة ودون أرجل

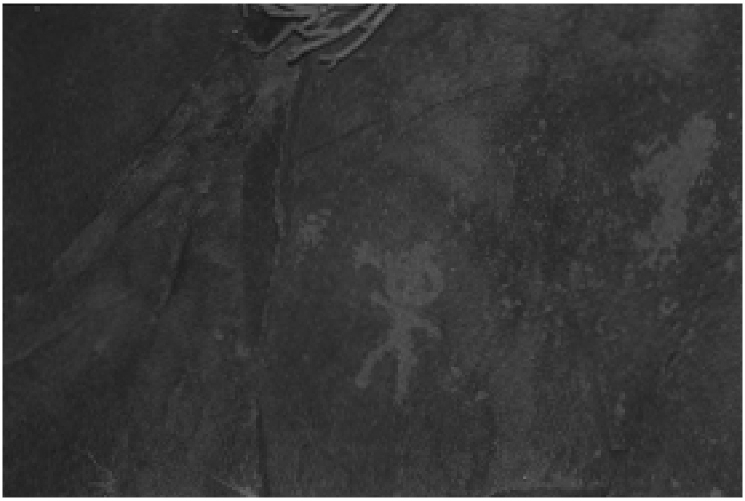

اللوحة رقم (٦)

أشكال آدمية مقنعة من "قرية الفية"

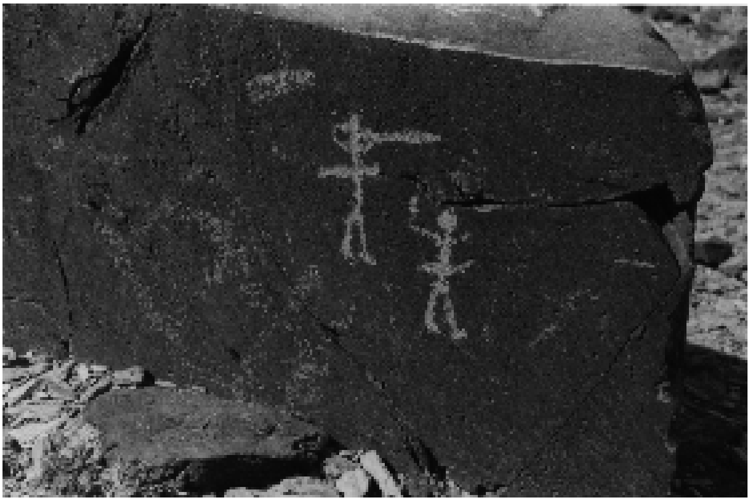

اللوحة رقم (٧)

منظر لفارسين

أحدهما مقنع ويرتديان نوعاً من الأسلحة عند الخاصرة

اللوحة رقم (٨)

فارس بالحجم الطبيعي، ويظهر وهو يتمنطق بخنجر في وسطه، ويلبس فوق رأسه ما يشبه الخوذة، ويحمل في يده اليمنى سلاحاً ما، وفي اليسرى ترساً. "دلغان"

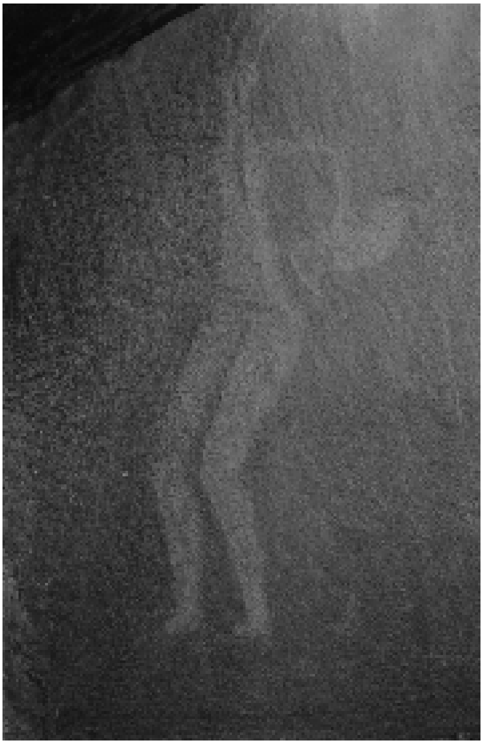

اللوحة رقم (٩)

فارس بالحجم الطبيعي أيضا يحمل في يده اليمنى رمحاً، وفي اليسرى ترساً، ولا يوحي المنظر بأن الفارس يخوض قتالاً.

جبل "أم الثفاء بآل سرحان"

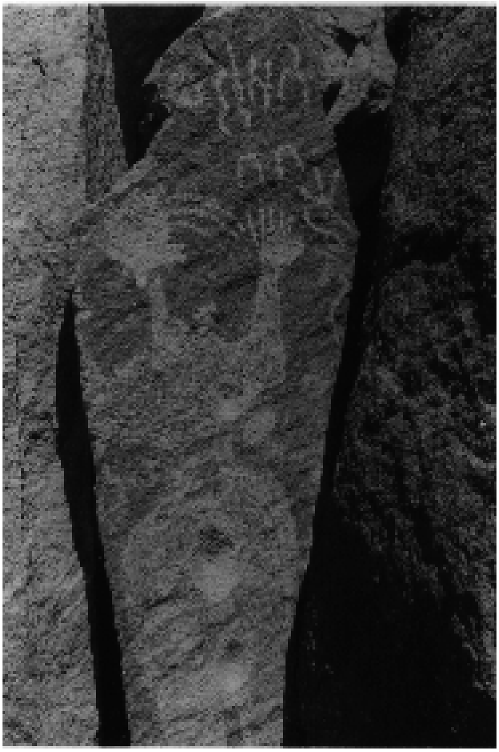

اللوحة رقم (١٠)
شكل لأمرأة بالحجم الطبيعي
وتبدو بخصر نحيل وبمؤخرة بارزة، وترفع يديها إلى الأعلى
بأصابع مفتوحة، ولها رقبة نحيلة، وملامح الوجه غير واضحة.
"هضبة العروس"

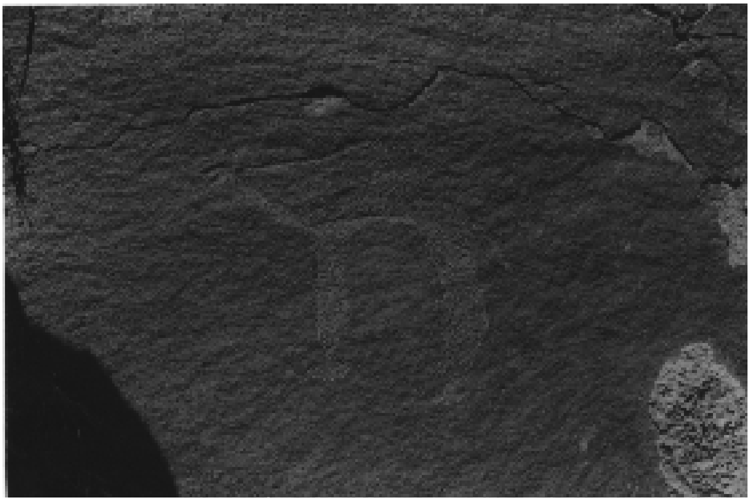

اللوحة رقم (١١)
رسمة لجمل بأسلوب النحت الكلي، وتعد هذه اللوحة
من أقدم الرسومات التي عثر عليها في المنطقة للإبل

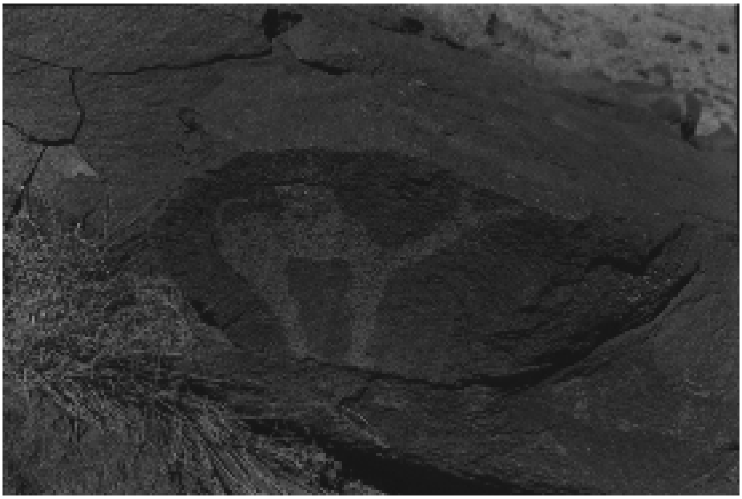

اللوحة رقم (١٢)
رسمة لجمل بأسلوب النحت الكلي، ويظهر رافعًا ذيله نحو الأعلى
"هضبة العروس"

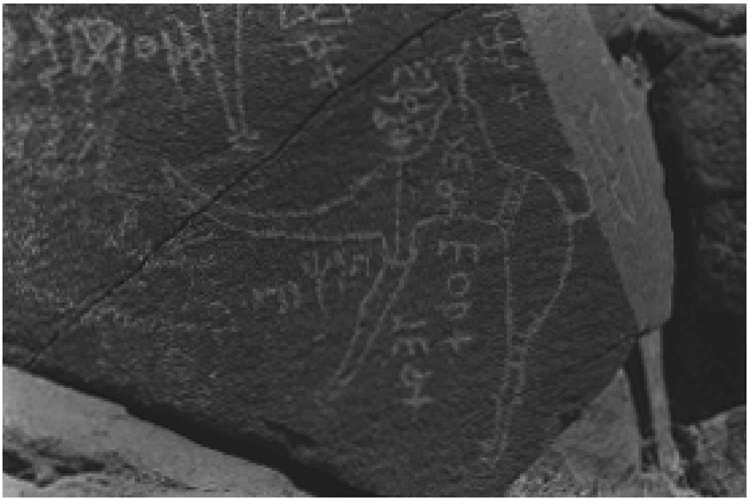

اللوحة رقم (١٣)
منظر لجمل بالحجم الطبيعي وبأسلوب تخطيط الإطار العام للشكل، ويظهر عليه بعض الزخارف قد تكون وسوماً للملكية وبعض النقوش الثمودية

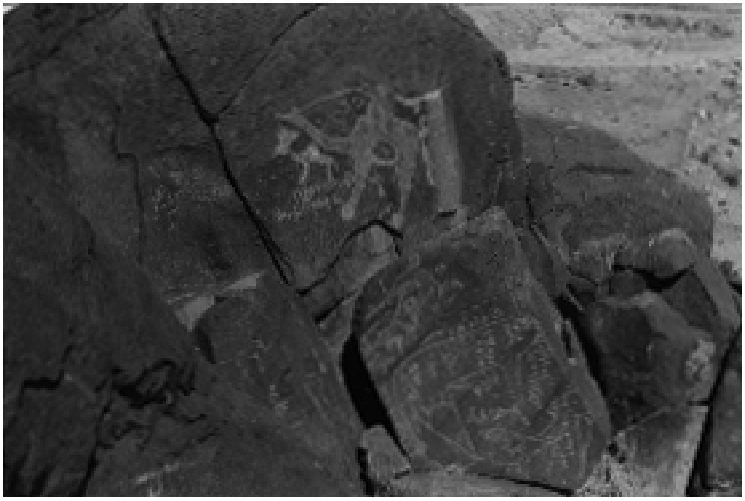

اللوحة رقم (١٤)
في أعلى اللوحة منظر لجمل ضخم بسنام مكتنز، وعليه وسم الملكية.
"هضبة العروس"

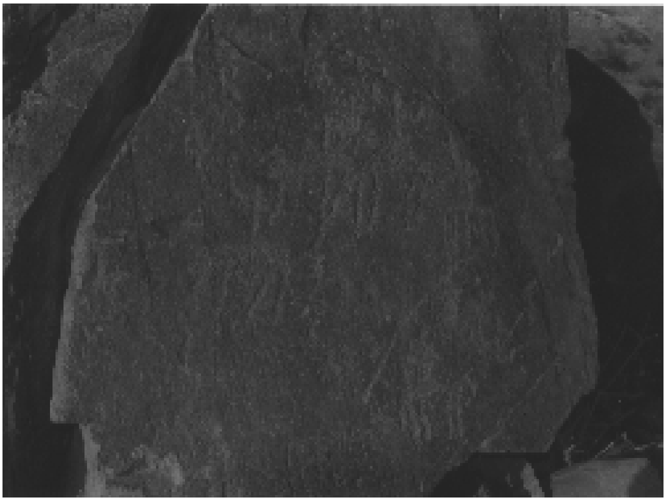

اللوحة رقم (١٥)

مجموعة من الإبل

بأسلوب النحت البارز، يركبها فرسان يحملون القسي والرماح

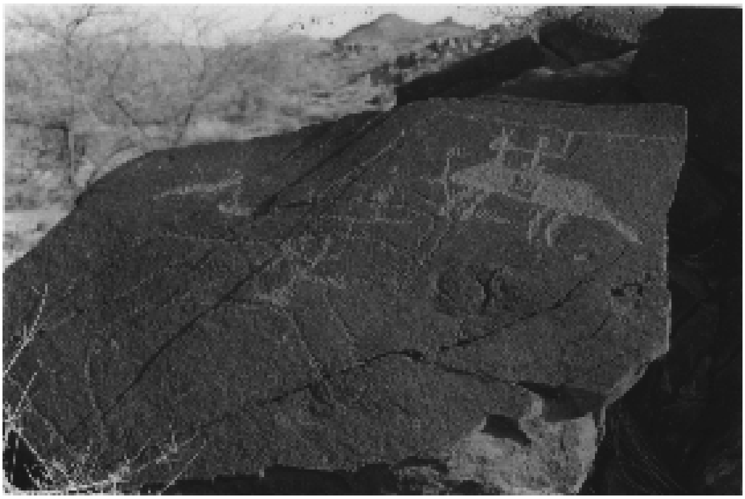

اللوحة رقم (١٦)

صورة جواد بأسلوب النحت الكلي

يركبه فارس يحمل رمحًا طويلة، ونلحظ أن المنظر نُفّذ فوق رسوم قديمة

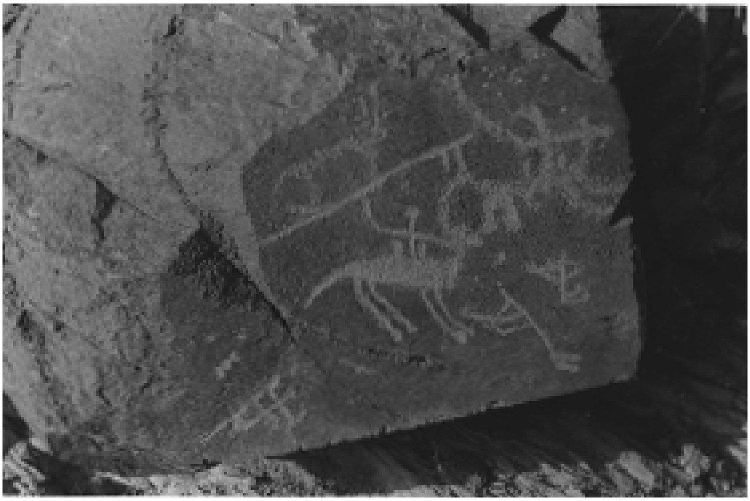

اللوحة رقم (١٧)
فرسان يقاتلون من فوق صهوات جيادهم،
وقد نفذت الرسوم بأسلوب النحت الكلي

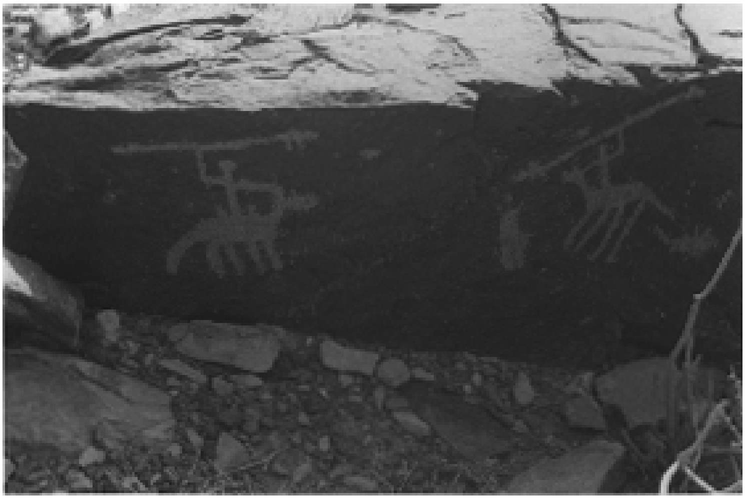

اللوحة رقم (١٨)
معركة حربية استخدمت فيها الخيول والرماح الطويلة،
وقد نفذت الرسوم بأسلوب النحت الكلي

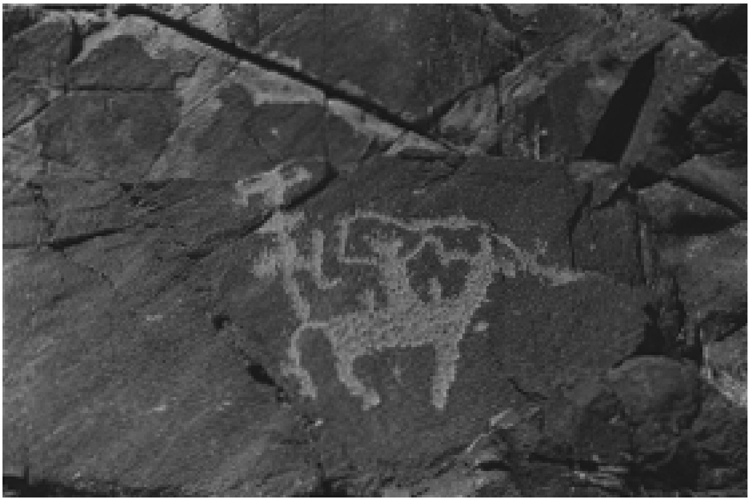

اللوحة رقم (١٩)
جواد بأسلوب النحت الكلي

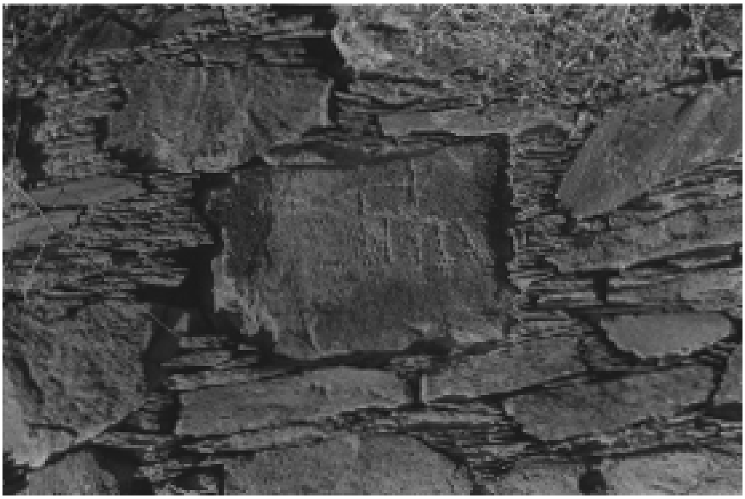

اللوحة رقم (٢٠)
منظر لفارس يركب أحد الجياد،
وقد نفذت الرسمة بأسلوب النحت البارز

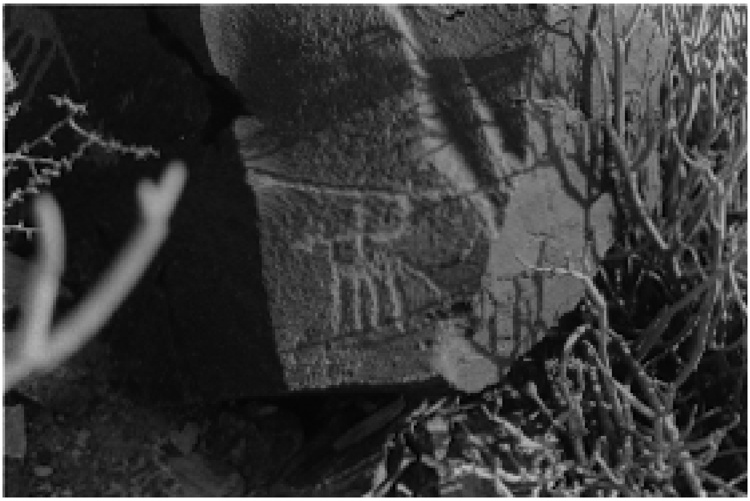

اللوحة رقم (٢١)
نموذج آخر من الخيول بأسلوب الحفر الغائر

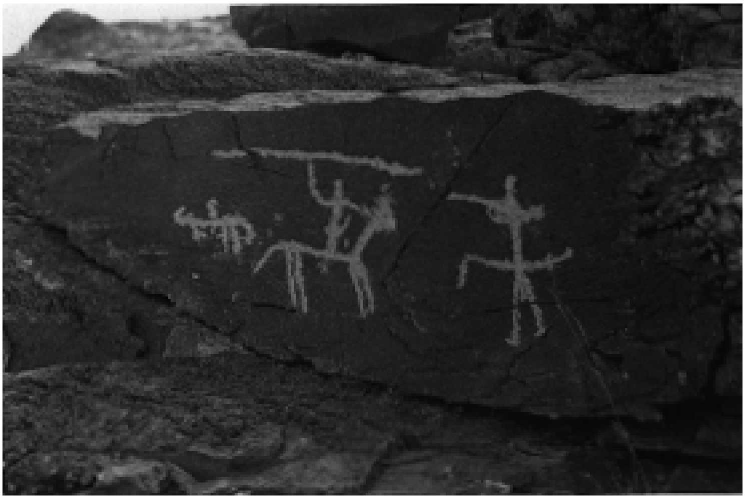

اللوحة رقم (٢٢)
منظر يظهر لنا أحد الفرسان وهو يصوب رمحه من على ظهر جواده
باتجاه فارس آخر والذي يظهر متمنطقاً بسيف أو ذريع طويل في جنبه

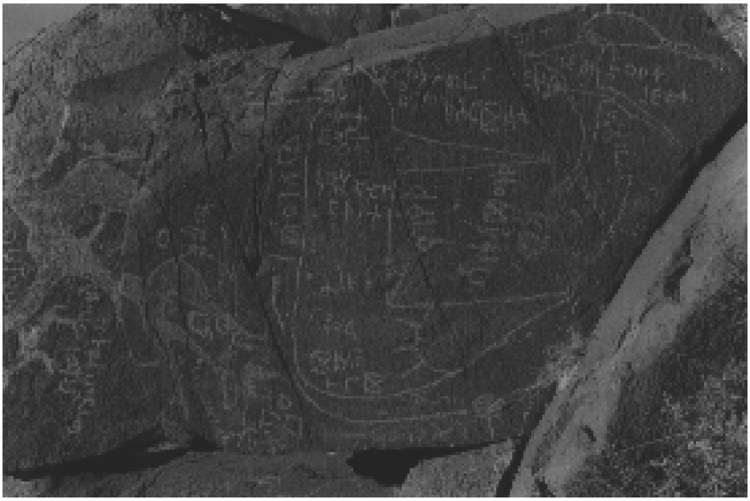

اللوحة رقم (٢٣)
ثور بالحجم الكبير بقرون مستقيمة للأعلى، وقد نفذت داخل جسمه
مجموعة من النقوش الثمودية،
وتظهر اللوحة بجانب رسوم الجمال التي رأيناها سابقًا

اللوحة رقم (٢٤)
منظر لثور آخر يقف في مواجهة أحد النمور

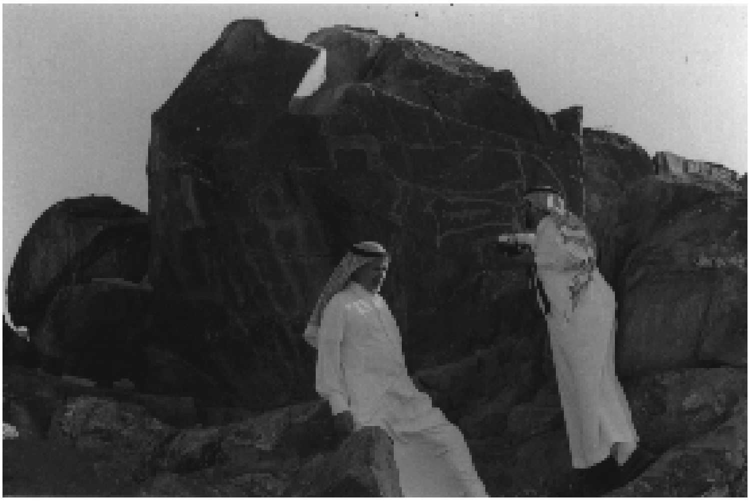

اللوحة رقم (٢٥)
الباحث وهو يشير لأحد آلهة الخصب
ويظهر في اللوحة الأستاذ/ عبدالله بن عفتان عضو مجلس المنطقة

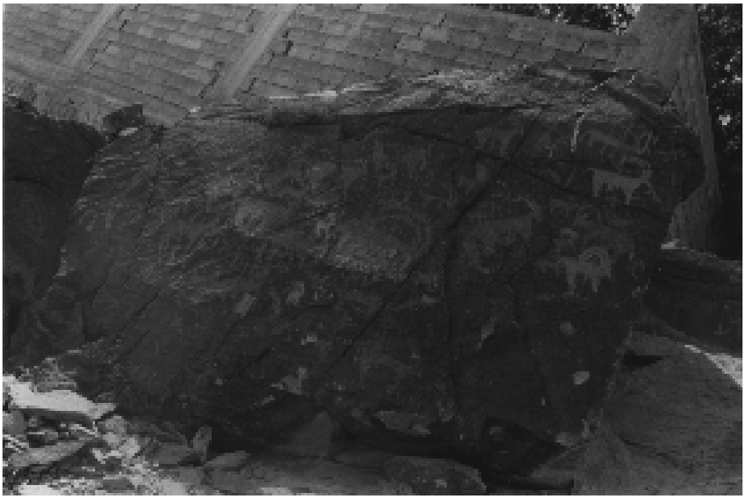

اللوحة رقم (٢٦)
مجموعة من الوعول ذات الذقون والقرون الطويلة المعقوفة للوراء،
ويلحظ أن التوسع العمراني قد امتد لهذه اللوحة
(منطقة الفية بجوار الطريق العام أبها - الطائف من اليسار)

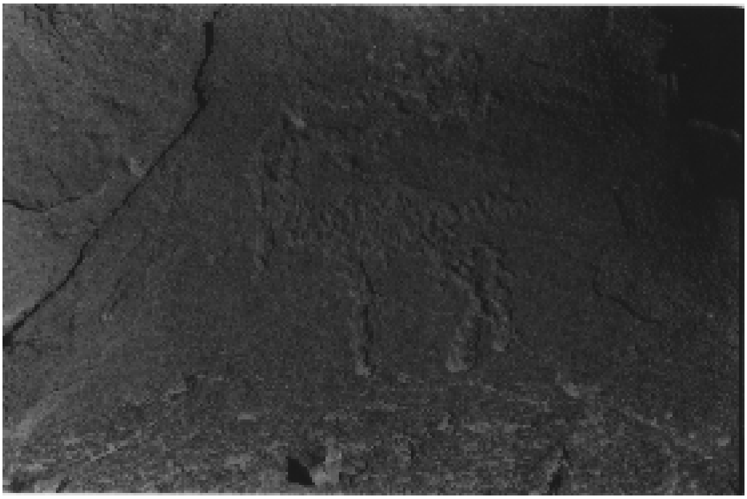

اللوحة رقم (٢٧)
وَعْل رسم بأسلوب النقر المتفرق

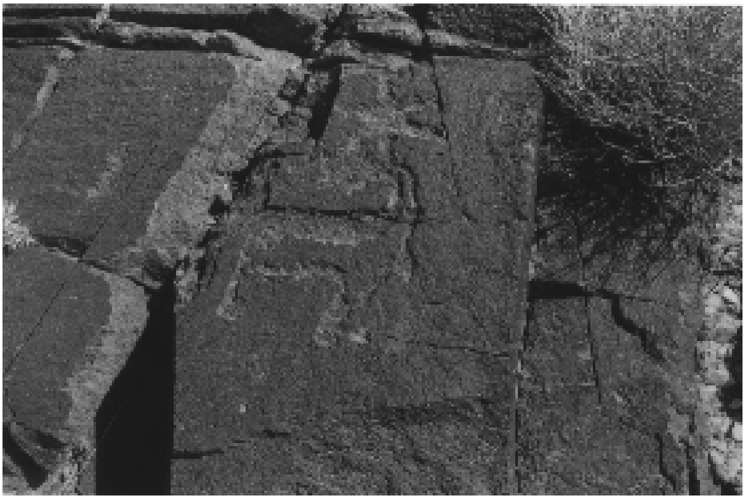

اللوحة رقم (٢٨)
وَعْل آخر رسم بأسلوب تحديد الإطار العام للشكل بوساطة خط عميق

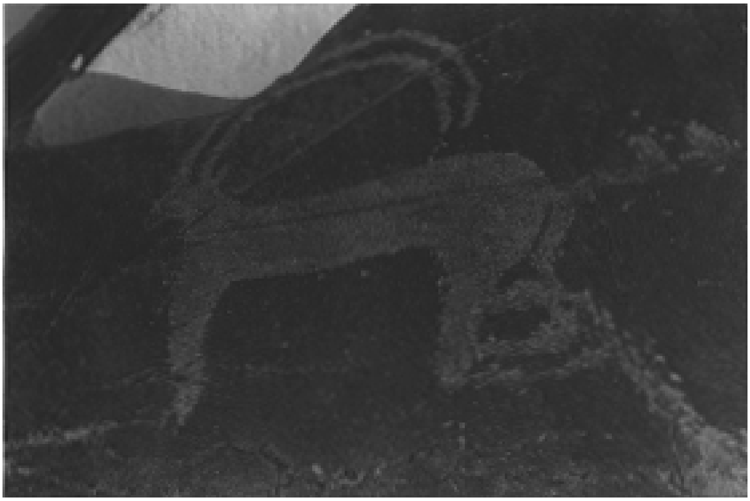

اللوحة رقم (٢٩)
وَعْل بالحجم الطبيعي وبقرون طويلة مطوية إلى الخلف
بأسلوب الكشط لجميع الجسم

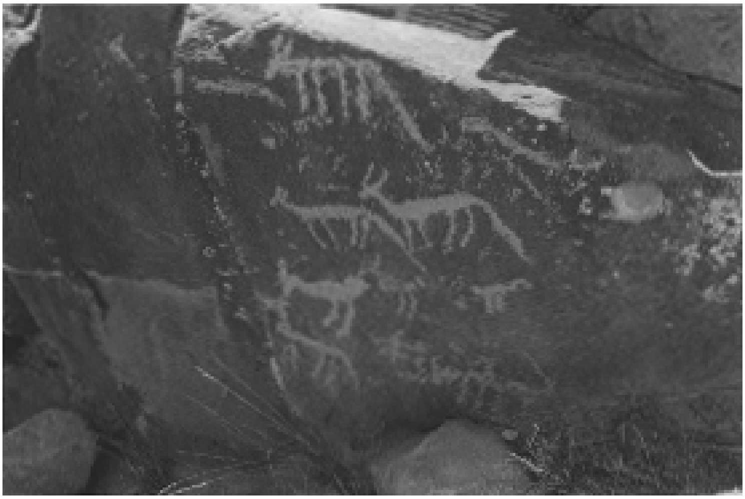

اللوحة رقم (٣٠)
لوحة لمجموعة من الثعالب

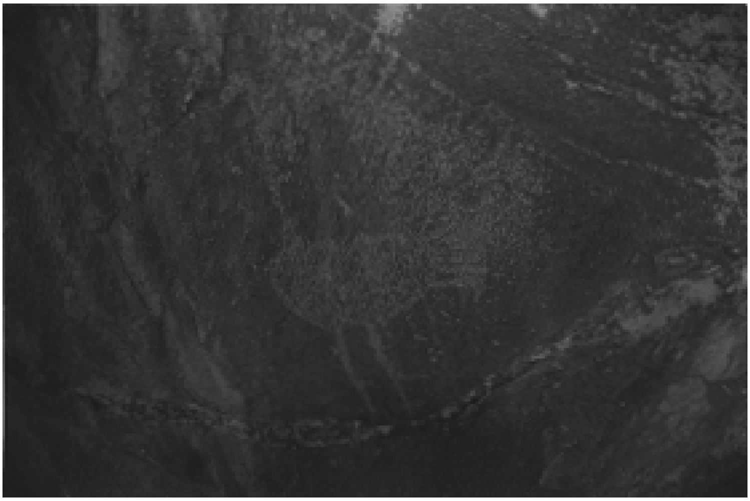

اللوحة رقم (٣١)
منظر لأحد طيور النعام

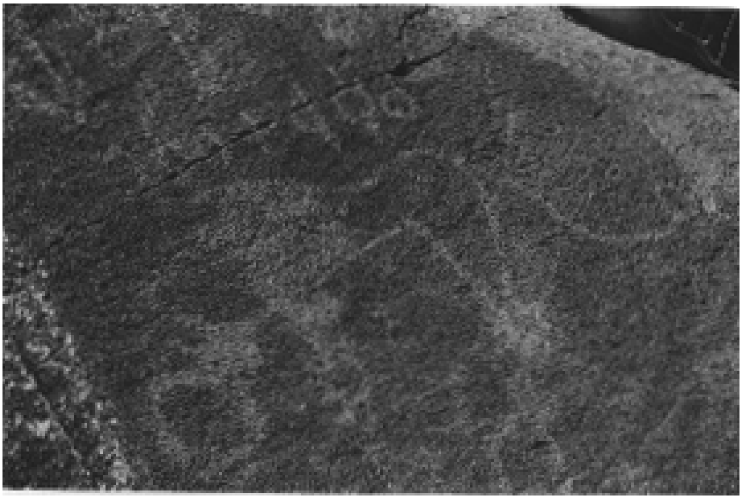

اللوحة رقم (٣٢)
رسمة لأحد الأسود يقف في منظر جانبي

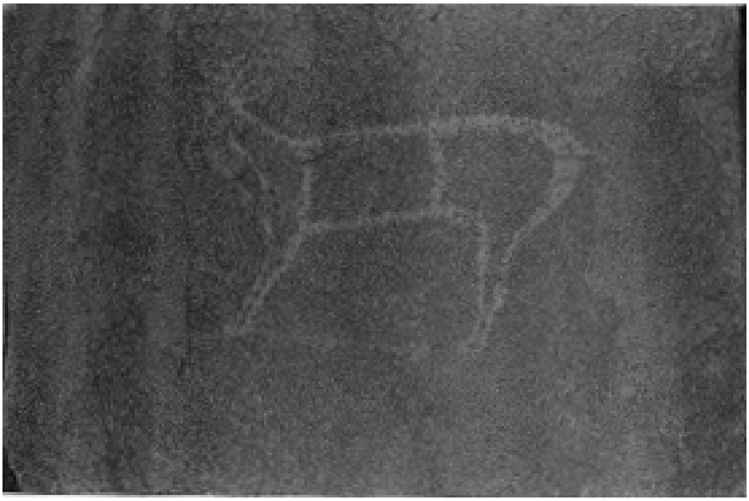

اللوحة رقم (٣٣)
غزال بالحجم الطبيعي

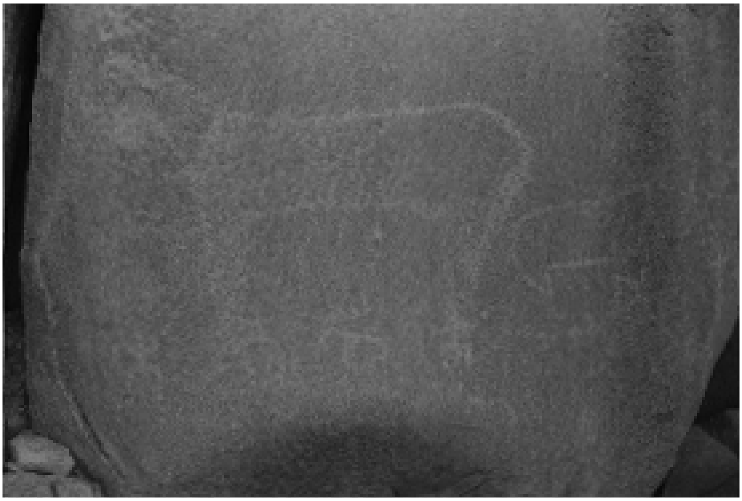

اللوحة رقم (٣٤)
غزال آخر، ويبدو أن هذه اللوحة واللوحة السابقة لفنان واحد

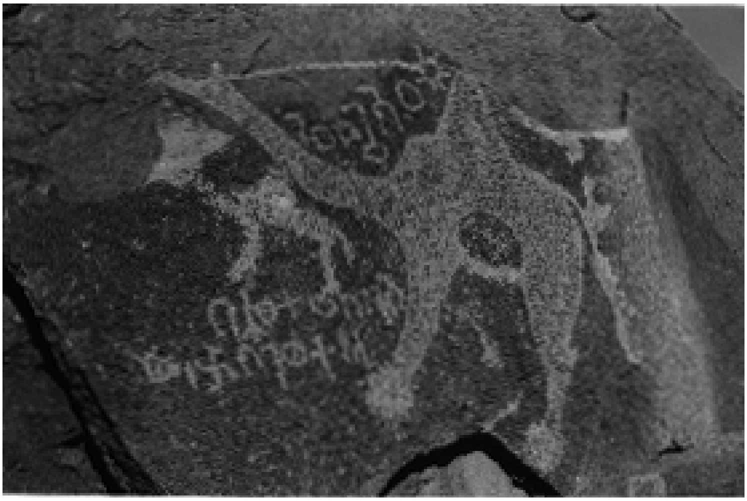

اللوحة رقم (٣٥)
منظر لأحد وسوم الملكية المستخدمة من قبل سكان المنطقة

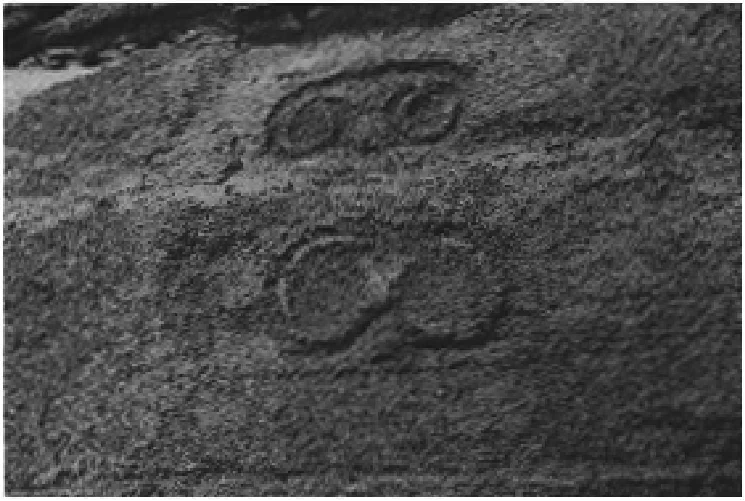

اللوحة رقم (٣٦)
أحد الرموز الغامضة التي تنتشر في المنطقة

٢ - الخرائط:

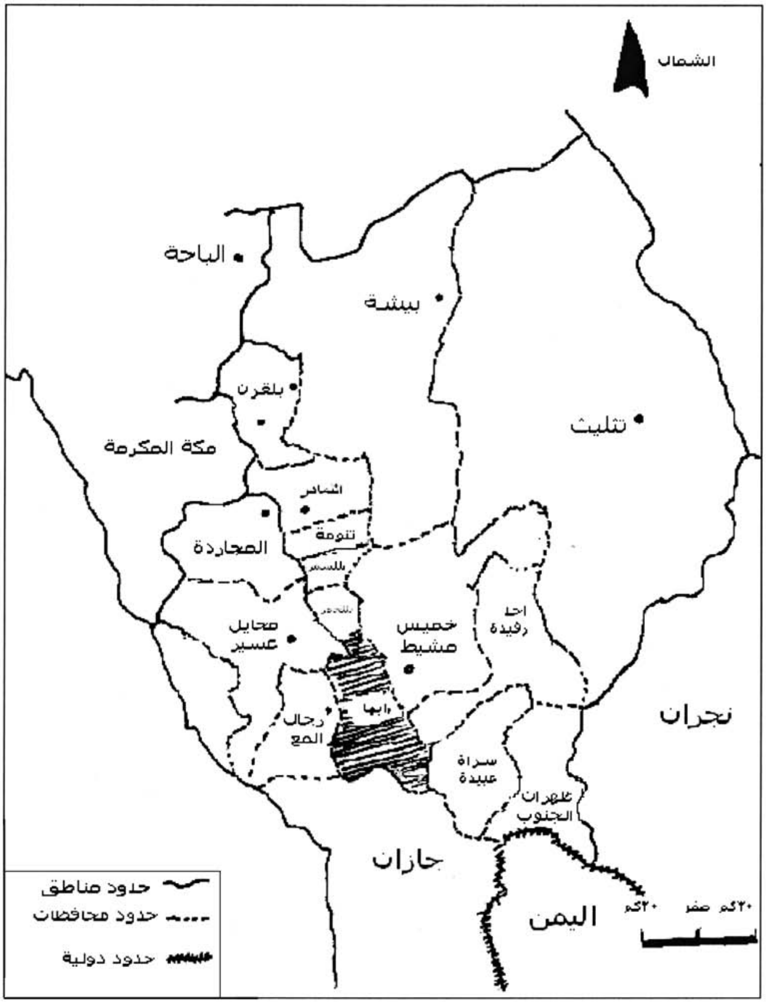
الشمال
الباحة
بيشة
تثليث
بلقرن
مكة المكرمة
النماص
تنومة
بللسمر
المجاردة
بللحمر
محايل عسير
خميس مشيط
أحد رفيدة
أبها
رجال ألمع
سراة عبيدة
ظهران الجنوب
نجران
جازان
اليمن
حدود مناطق
حدود محافظات
حدود دولية
٢٠كم صفر ٢٠كم

الخريطة رقم (١)
موقع أبها بالنسبة لمحافظات منطقة عسير

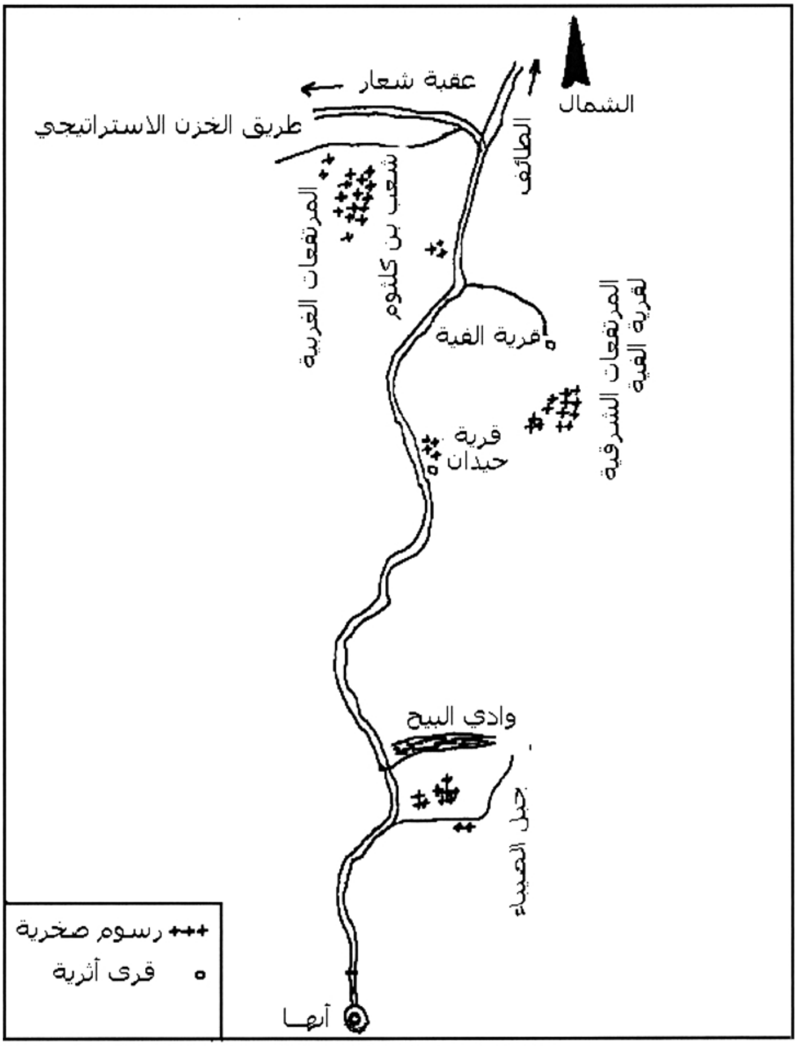
الشمال
عقبة شعار
طريق الخزن الاستراتيجي
الطائف
شعب بن كلثوم
المرتفعات الغربية
قرية الفية
المرتفعات الشرقية لقرية الفية
قرية حيدان
وادي البيح
جبل الصيباء
أبها
رسوم صخرية
قرى أثرية

الخريطة رقم (٢)

خريطة توضيحية لمواقع الرسوم الصخرية شمال مدينة أبها

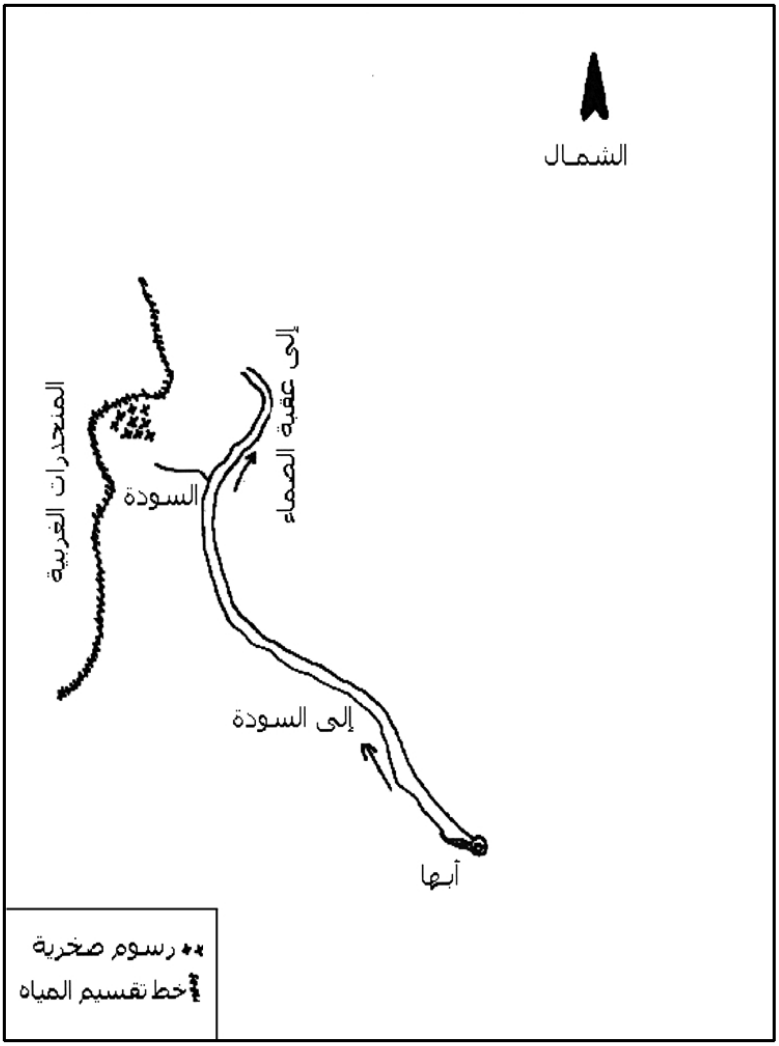
الشمال
المنحدرات الغربية
السودة
إلى عقبة الصماء
إلى السودة
أبها
رسوم صخرية
خط تقسيم المياه

الخريطة رقم (٣)
الرسوم الصخرية بموقع السودة

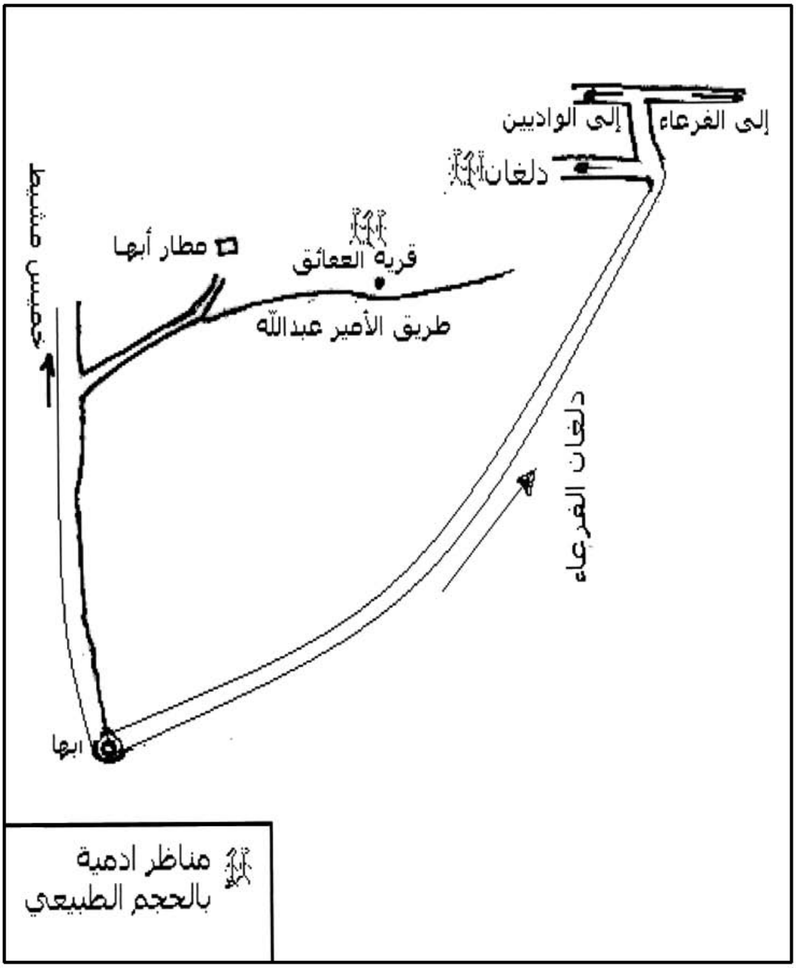
إلى الفرعاء
إلى الواديين
دلغان
قريه العقائق
مطار أبها
طريق الأمير عبدالله
خميس مشيط
دلغان الفرعاء
ابها
مناظر ادمية بالحجم الطبيعي

الخريطة رقم (٤)
الرسوم الصخرية بموقع دلغان وقرية العقائق

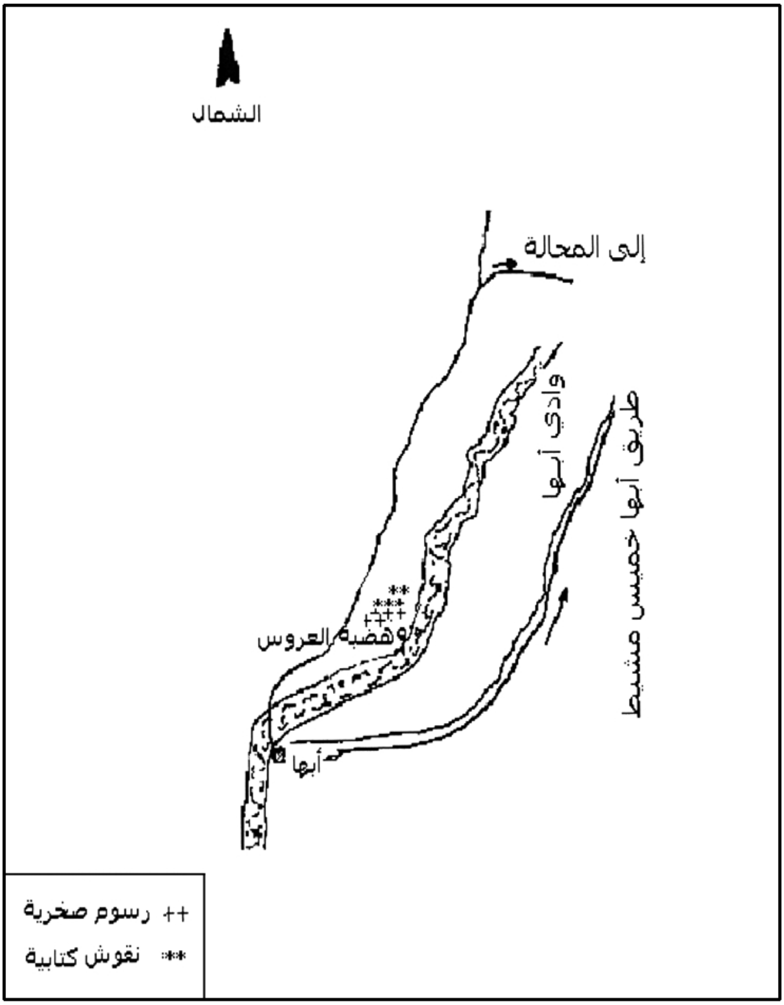
الشمال
إلى المحالة
وادي أبها
طريق أبها خميس مشيط
هضبة العروس
أبها
++ رسوم صخرية
** نقوش كتابية

الخريطة رقم (٥)
النقوش والرسوم الصخرية بهضبة العروس